ثم دخلت

سنة ست وخمسين وستمائة

ففي أولها في المحرم استولى التاتار خذلهم الله على بغداد، فقتلوا ونهبوا وفعلوا ما جرت عادتهم عند استيلائهم على بلاد العجم، على ما ذكرناه في كتاب السيرة العلائية والجلالية والأخبار في تفصيل ذلك كثيرة، استولي على الخليفة وأهله بمكيدة دبرت مع وزير بغداد فمن أحسن ماأنشد في ذلك بيت لابن التعاويذي:

بادت وأهلوها معاً فبيوتهم
ببقاء مولانا الوزير خراب(١٣٣)

وجاء كتاب من بعض من سلم منهم ببغداد يقول: والأمر أعظم مما بلغكم من الأخبار، اللهم عافنا وبلادنا من كل سوء.

وفي صفر توفي صاحبنا الشيخ شمس الدين محمود النابلسي، وكان شيخاً صالحاً مرتاضاً حسن الصحبة والأخلاق، فقيراً فاضلاً ناب عني في الصلاة بالمدرسة العادلية مدة في مرضي، وفي غيبتي زمن الخروج إلى البساتين، ثم قرأ القرآن بجامع التوبة بالعقيبة إلى أن توفي، ودفن بمقبرة ابن زويزان حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله.

وفي صفر أيضاً توفي الشيخ الصالح خليل، يعرف بالشيخ يوسف الكردي، كان مقامه بمسجد الربوة ويدخل إلى الجامع بدمشق ويخرج إلى الربوة عشية منفرداً، دائم الذكر والصلاة والانقطاع عن الناس، وكان الله قدألبسه الهيبة والوقار وذلك من علامات الأبرار رحمه الله ورضي عنا به وبأمثاله.

وفي أوائل ربيع الأول توفي علاء الدين حمزة بن الحجاج، أحد الشهود

المعدلين بدمشق من أهل البيوتات، وكان فقيهاً ديناً بقي عندنا بالمدرسة العادلية مدة بعد مقامه بحلب، ثم صار من الشهود المرتبين بباب الجامع رحمه الله، وفي هذا الشهر توفي الموفق محمدابن بنت البكري شاب شريف حسني صالح فقيه بار بوالديه رحمه الله.

وفيها: توفي عون الدين بن العجمي ناظر ديوان الجيش، والنور الأسعردي الشاعر، والمجير الكتبي وعبد الله البعلبكي، أحد رجال الحكم، وكان يبذل نفسه لقضاء حاجة من يندبه بالمدرسة رحمه الله، وفي أول ربيع الأول توفي الشمس علي بن النشبي نائب الحسبة، كان في زمن ولاية الصدر البكري لها، وكان من أهل سماع الحديث واسماعه، وقرأ منه كثيراً على شيوخ ابن عساكر العمادبن الحافظ، وشيخينا الآخران:

الفخر، وزين الأمناء وغيرهم، ومات أيضاً القاضي أحمد من باب شرقي، والبرهان السويدي، بمدرسة العادلية ووقف كتبه بمدرسة ابن رواحة، ومات النجم أخو البدر؛ وكان يسمع برواية ابن الفاضل بالكلاسة باجازته من السلفي، وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر توفي الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام خطيب جامع التوبة بالعقيبة، ودفن بباب الصغير على قبر جده وكان الجمع في جنازته كثيراً، وفي ذلك اليوم مات الفخر بن عوضة.

وجاءنا الخبر من حلب بموت الشيخ أبي عبد الله الفاسي، وكان صالحاً، عالماً، فاضلاً، وشرح قصيدة الشيخ الشاطبي شرحاً حسناً، وفي شهر جمادى الأول توفي الشمس أبو القاسم بن اللهيب متولي الحشّرية بدمشق ودفن بجبل قاسيون حادي عشره، وقال فيه صاحبنا الكمال علي ابن الظهير لما كان ينال منه:

اليوم زار ابن اللهيب أباه
ورأى الذي قد قدمته يداه

لم ينتفـــــع بـــــالظلـــــم لكـــــن ضره
إذ كـــــان حســـــب الظـــــالمين الله

وفي ثاني عشره توفي الكمال بن الأريسي، أحد متولى الدواوين السلطانية بقلعة دمشق، كان مشكوراً فيها، وفي ثالث عشر توفي الفخر الياس عتيق الشيخ تاج الدين الكندي، وكان مشرفاً بالجامع على فرشه وزيته، وكان لنا رفيقاً عام حجنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة رحمه الله، ووقع وباء كثير في زمن الربيع وهو من أعجب مايؤرخ، فعم الناس المرض وكثر الموت. فممن مات فيه الفقيه البغدادي المعروف بالنكرة الشافعي، والزين بن عبد الملك المقدسي الحنبلي وكيل المجير بن صارم الدين، والمنتجب عباس الحنفي الساكن بالمدرسة الصادرية، ومكي خطيب زملكا، وسيف الدين بن صبرة والي شرطة دمشق، وذكروا أن حية عظيمة خرجت عليه عند موته فضربته بين أفخاذه، وقيل غير ذلك. وقيل انها اندرجت معه في أكفانه. وسألت عنه فقيل لي كان نصيرياً، رافضياً، خبيثاً، مدمن خمر نسأل الله تعالى العافية.

ومات أيضاً أبو كامل محمد الحوراني جارنا بحارة الخاطب، ومحمد بن الزين خالد، والشيخ ابراهيم الأسود خادم قبر الشيخ رسلان

والملك الصالح ابن أخي صاحب الجزيرة المعظم سنجر شاه، وكان أبوه يلقب الناصر سنجر شاه بن مودود بن زنكي. والملك الناصر داود ابن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، وكان سلطان دمشق بعد أبيه نحواً من سنة ثم اقتصر له على الكرك وأعماله، ثم سلب ذلك كله، وصار منتقلاً في البلاد موكلاً عليه، وتارة في البراري إلى أن مات موكلاً عليه بالبويضا قرية قبلي دمشق، كانت تكون لعمه مجير الدين بن العادل، وحمل منها فصلي عليه عند باب النصر، ودفن بجبل قاسيون عند أبيه بالمقبرة المعظمية بدير مران، وخلف أولاداً كثيرة وأتباعاً من أهله.

ومات أيضاً النجم بن أخي نقيب الأشراف يومئذ، بهاء الدين علي وكان متجاهراً بالرفض.

وفي مستهل جمادى الآخرة توفي محتسب دمشق فتح الدين بن العدل بمنزله بالجبل، وكان خيراً وقوراً متواضعاً رحمه الله، وتولى مكانه الحسبة أخوه ناصر الدين، وفي ذلك اليوم أيضاً توفي سعد الدين محمد بن الشيخ محيي الدين محمد بن العربي رحمه الله، وكان من الفضلاء العقلاء، كتب إليّ من نظمه يستعير مني الروضتين الذي صنفته:

بك ملة الاسلام عاد شبابها
يا من بفتياه استبان صوابها
هذي ثمار الروضتين زكاتها
وجبت عليك غداة تم نصابها
فامنن علي بها لعلي اجتلي
ثمرات علم راحتاك سحابها
وأنا الكفيل بحفظها وبحفظها
ويكون أسرع من نداك إيابها
وأجل قدرك أن أرى متحيراً
طلباً لها وتكون أنت شهابها

وفي ثالث جمادى الآخرة توفي نظام الدين المولى الحلبي، وكان كاتب الانشاء لدمشق وحلب للناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان الكبير صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان كاتبه وصاحب سره، وكان عاقلاً، ثابتاً متواضعاً مشكوراً فيما كان فيه ودفن بالجبل.

ومات في الشهر الماضي جمادى الأول شخص زنديق يعرف بالشهاب النقاش، وكان يتعانى الكلام على طريقة الحكماء، وانكار النبوات والازراء بها أهل الاسلام عليه، وكان يسكن بالمدرسة النورية، ويجلس

كثيراً على باب مشهد علي في قبة يزيد بالجامع ويجتمع اليه عدد من جنسه الزنادقة لارحمه الله.

وفي سادس جمادى الآخرة توفي النجيب بن الشقيشقة، أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني المعروف بابن الصفار أيضاً، كان قد سمع كثيراً، لكنه لم يكن بحال أن يؤخذ عنه،. كان مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم،فممن استشهده أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر بن سني الدولة في حال ولايته قضاء القضاة بدمشق، وكان مراعياً لأرباب الجاهات كثيراً، فإنما استشهده لأجل جاه كان النجيب متصلاً به، وميزه بأن جعله عاقداً للأنكحة بباب جامع دمشق، فعجب الناس منه وأنكروا مافعله وأنشدني البهاء الحافظ لنفسه في ذلك أبياتاً منها:

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا
بأبيكما ماذا عدا مما بدا
هل زلزل الزلزال أم قد اخرج الـ
دجال أم عدم الرجال ذووالهدى
عجباً لمحلول العقيدة جاهل
بالشرع قد اذنوا له أن يعقدا

وفي سادس عشر جمادى الآخرة توفي النجم محمد بن خضر المعروف بابن طاووس، كان نقيب القاضي صدر الدين بن سني الدولة فأثرى بعد فقر كحال مخدومه. ومات الشيخ يوسف النوزري الذي كان مقيماً بشرقي الكلاسة، ويقرأ عليه القرآن، وكان منسوباً إلى الصلاح رحمه الله.

وفي أواخر شهر رمضان توفي جمال الدين ابراهيم المعروف بصهر المكرم، وكان يومئذ خطيب دومة توفي بها وحمل إلى جامع التوبة فصلي عليه به، وذهب به الى الجبل، وكان شيخاً بهياً متوداً رحمه الله، وفي آخر

رمضان توفي العز بن القيسراني متولي ديوان المظالم بالقلعة بدمشق، ومات أيضاً الرشيد النهاوندي الصوفي الذي كان مقيماً بالكلاسة قدياً زماناً طويلاً. وفي ثالث ذي القعدة توفي الشرف الإربلي واسمه الحسين ابن ابراهيم، وكان شيخاً مسنداً له سماعات كثيرة عن الخشوعي، والحرستاني، والكندي والحافظ البهاء وغيرهم، وفي رابع ذي القعدة توفي الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري بالقاهرة رحمه الله ورضي عنه. وفي العشرين منه توفي الأمير سيف الدين استاذ الدار الناصري. والتاج الساوي بعده بيومين. وجاءنا الخبر من مصر بموت صدر الدين الحسني ابن محمد البكري توفي في حادي عشر ذي الحجة.وبهاء الدين زهير الكاتب. والمعين بن وردان.

وكثرت الرجفات بقصد التاتار بلاد الشام، ونزولهم على الفرات إلى بلاد آمد وغيرها. وفتك فيهم صاحب ميافارقين الكامل بن شهاب الدين غازي بن العادل أيده الله بنصره لما حاصروها، وصبر على مجاهدتهم أكثر من سنة ونصف، ورحلوا عنها بالخيبة والعجز.

ثم دخلت

سنة سبع وخمسين وستمائة

ففي رابع المحرم توفي البهاء بن الحافظ المعروف بابن الدجاجية، وكان شيخاً فاضلاً؛ شاعراً رحمه الله، وفي سابع صفر توفي المعين المؤذن العادلي، وكان معمراً ممن أدرك دولة نور الدين زنكي رحمه الله، وخدم صلاح الدين فمن بعده من الملوك إلى أن قعد في بيته زمناً قبل موته بسنين، ثم توفي وقد جاوز المائة.

وفي خامس عشر صفر توفي المجد الإربلي النحوي المعروف بالمحلي، وكان يشهد بباب الجامع ويقرىء في حلقة ابن طاووس جوار البرادة بالجامع، وهو الموضع الذي كان يقرىء فيه قبله الفخر بن المالكي وقبله الجمال الشاطبي، وقبله الوجيه بن البوني رحمه الله وكان موته فجأة، اللهم عافنا من بلائك. وفي سابع عشر صفر توفي الشمس أبو الفتح الذي كان يقرأ بالتربة الصالحية، هو: الشمس أبو الفتح محمد بن علي بن موسى بن معمر الأنصاري الدمشقي، مولده سنة خمس عشرة وستمائة تقريباً، ودفن من الغد رحمه الله، وفي العشرين من صفر توفي العماد يحيى ابن عمر الحموي إمام مسجد حارة الخاطب، وكان قرأ معي القرآن العظيم علي الشرف أبي منصور الضرير في سنة ثلاث عشرة وستمائة ونحوها رحمهما الله، وتولى اشراف السبع مرة.

وتوفي أيضاً شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علوم الأوائل، ويسكن مدارس فقهاء المسلمين، وقد أفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين فيما بلغني، وكان يتجاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام لارحمه الله ولارضي عنه ولاعن أمثاله، وهو يعرف بالفخر بن البديع البندهي، كان أبوه يزعم انه من تلامذة الفخر الرازي ابن خطيب الري، صاحب المصنفات، وفي حياة والده مات.

وفي عاشر جمادى الأولى توفي الزين بن مزهر الساكن بجبل قاسيون قبالة المدرسة البهنسية رحمه الله، وكان قبل ذلك هو وأخوه المجد تاجرين معروفين، وكان له لسان وبيان وقوة جنان وحسن توصل إلى أغراضه، وفي خامس عشره توفي التقي يونس الأسود إمام مسجد درب الحبالين، وكان فقيهاً بالشامية ويتولى القرايا الموقوفة على المدينة النبوية، واشتغل بعلم الفقه والنحو، ودفن بباب الصغير رحمه الله، وفي جمادى الآخرة مات النجم بن القيلوي. وجدت بخط الحافظ اليغموري: سألت النجم أبا القاسم علي بن القيلوي عن مولده فقال: يوم السبت ثاني المحرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالمأمونية من أعمال بغداد والمجد الواسطي، والنجم الكنجي المولد، وكلاهما من سكان المدرسة العادلية؛ والمخلص الصوفي بخانقاه السميساطي مات فجأة، ونظمت في آخر جمادى الآخرة:

الثوب واللقمة والعافية
لقانع من عيشة راضية
وما يزد فالنفس ليست به
وإن تكن مملكة راضية

وفي شهر رجب تولى القاضي محيي الدين بغزة تدريس المدرسة الناصرية بالقدس الشريف(١٣٤)، وتولى شهاب الدين محمد بن القاضي شمس الدين أحمد بن الخليل الخوئي قضاء القدس الشريف، وسافرا من دمشق إلى ولايتهما.

وفي سادس عشر شعبان توفي بدمشق شخص يعرف بيوسف القميني، كان يأوي دائماً إلى القمامين والمزابل، وغالب مأواه قمين حمام نور الدين الذي بسوق القمح العتيق بدمشق ويلبس ثياباً طوالاً تكنس الأرض وهو حاف حاسر طويل الصمت قليل استعمال الماء، وللناس فيه اعتقاد صلاح ويحكون عنه عجائب، لم يظهر لي أنا منه شيء غير

ملازمته لهذه الطريقة الشاقة على النفس مدة سنين كثيرة، وعقله ثابت، وعوام الناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب فيتناول بعد جهد مقدار حاجته ويترنح في مشيته مسبلاً أكمامه مع طولها، وفي الجملة كان أمره عجيباً، اللهم انفعنا بعبادك الصالحين، وتوفنا مسلمين، ودفن رحمه الله بالجبل بمقبرة الموهلين.

وفي أول شهر رمضان جاء الخبر بموت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ مملوك بيت أتابك زنكي، وفي تاسع عشر رمضان توفي سيف الدين ابن الغرس خليل، وكان أحد حجاب السلطان، مشكوراً في ذلك، وكان أبوه والي شرطة دمشق في زمن المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب، وفي ذلك اليوم أيضاً توفي صدر الدين أسعد بن المنجا الحنبلي أحد عدول دمشق المتمولين بها، وبنى مدرسة للحنابلة بدمشق مقابلة لتربة سيف الدين قليج مجاورة لتربة القاضي جمال الدين المصري، وفي عاشر شوال توفي الجمال عثمان بن يوسف، والقاضي عز الدين محمد ابن القاضي الأشرف أحمد ابن القاضي عبد الرحيم البيساني رحمهما الله، وفي رابع عشره توفي الفخر بن هلال رحمه الله تعالى، وفي رابع ذي الحجة توفي الرضا بن النجار أحد أعوان القضاة المذكور في قصيدة الصدقات منهم ابن النجار الأعرج سمسار القضايا في دار قاضي القضاة، وفي سابع عشر ذي الحجة توفي الشيخ صالح الأمشاطي أبو سعيد صهر الشيخ عثمان الرومي، الساكن بالجبل رحمه الله، وفي سلخ ذي الحجة توفي نجم الدين المظفر بن محمد بن الياس الشيرجي أحد العدول الكبار من الدمشقيين، وتولى الحسبة بها، ونظر الجامع رحمه الله.

وفيها: ورد الخبر من مصر بالقبض على ملكها الصبي نور الدين علي الملقب بالمعز بن التركماني، واستيلاء مملوك أبيه قطز على الملك، وفي هذه السنة كثرت الأراجيف بدمشق بسبب التاتار أهلكهم الله، وردت الأخبار بأنهم قطعوا الفرات، وأغاروا على بلاد حلب، فهرب كثير من

الدمشقيين، وباعوا حواصلهم وخرجوا على وجوههم متفرقين في البراري والجبال والحصون، وصادف ذلك أيام الشتاء وقوة البرد، فمات كثير منهم، ونهب آخرون، وثبت في البلد من قوى الله قلبه وإيمانه، وبالله التوفيق.

obeikandl.com

ثم دخلت

سنة ثمان وخمسين وستمائة

يوم الخميس. ففي يوم الأحد بعد العصر ثامن عشر المحرم ولد لي مولود ذكر سميته باسم والدي اسماعيل، وكنيته أبا العرب، جعله الله مباركاً، ووافق يوم مولده كانون الثاني في قوة البرد، وكانت تلك الأيام كثيرة الأراجيف والتخويف من جهة التاتار خذلهم الله.

وفي منتصف صفر ورد الخبر إلى دمشق باستيلاء التاتار على حلب بالسيف، وهرب صاحبها من دمشق بأمرائه الموافقين له على سوء تدبيره، وزال ملكه عن تلك البلاد، وكان نزول التاتار على حلب في ثاني صفر واستولوا عليها بعد سبعة أيام في تاسع صفر وأمنوهم، ثم غدروا بهم، فقتلوهم وكان رسل التاتار عندنا بقرية حرستا، فأدخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر وقرىء في غدها يوم الاثنين بعد صلاة الظهر بالجامع فرمان جاء من عند ملكهم معهم، فيه أمان أهل دمشق وماحولها، وشرع أكابر أهل دمشق في تدبير أمرهم معهم، وفي يوم قرىء الفرمان صلي بالجامع على جنازة الشريف ابن عصرون، وفي سابع عشر ربيع الأول وصل إلى دمشق نواب التاتار، ولقيهم كبراء البلد بأحسن ملقى، وقرىء مامعهم من الفرمان المتضمن للأمان بالميدان الأخضر، ووصلت عساكرهم من جهة الغوطة مارين من وراء الغوطة إلى جهة الكسوة وأهلكوا في مرهم جماعة كانوا تجمعوا وتحزبوا، وأعدم بسبب ذلك غيرهم، منهم: جماعة من أهل قرية حزرما(١٣٥)، وشجاع أبو هرماس المؤذن، وصالح، وقاسم وغيرهم.

وفي السادس والعشرين جاء منشور من هولاكو ملك التاتار للقاضي

كمال الدين عمر بن بندار التفليسي بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام، والموصل، وماردين، وميافارقين، والأكراد وغيره، كتب له بحلب في خامس عشر الشهر، وقرىء المنشور المذكور بالميدان الأخضر، وفيه تفويض جميع الوقف إلى نظره، وخاصة وقف الجامع المعمور بدمشق المحروسة، وكان قاضي قضاة دمشق وأعمالها قبله أحمد بن السني وليه من جمادى سنة ثلاث وأربعين إلى الآن، وذلك خمس عشرة سنة إلا شهرين أو نحوها.

وكان كمال الدين هذا نائبه، ويفعل الله في خلقه مايشاء.

وفي الثالث والعشرين من ربيع الأول توفي بالجبل الشيخ عماد الدين عبد المجيد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامه المقدسي، رحمه الله، وكان شيخاً حسناً لطيفاً، علّم جماعة كثيرة كتاب الله العزيز، وابتلي بمرض مزمن في آخر عمره، وكان له رواية للحديث عن الثقفي وغيره، وقد أجاز أولادي رواية مايجوز له عنه روايته، وهم محمد رحمه الله، وأحمد، واسماعيل، وفاطمة جبرهم الله.

وفي الخامس والعشرين توفي الجمال بن الحظيري الذي كان مصاهراً المحيي القاضي، وجاءنا الخبر بوفاة جمال الدين بن قوام، قتلته التاتار بأرض الغور رحمه الله، وفي أوائل ربيع الآخر في العشرين من آذار توفي الأوحد الدوثي بحلب الذي كان قبل مدرساً بمنبج، وقاضياً، وكان مشهوراً.

وفي ربيع الآخر رجعت عساكر التاتار التي كانت عبرت على دمشق بعدما عاثت في بلاد حوران، وأرض نابلس وماحولها وقيل بلغت غاراتهم أرض غزة وبيت جبريل، والخليل، والصلت، وبركة زيزياء، وموجب الكرك ونجو ذلك فقتلوا على عادتهم الرجال، وسبوا الصبيان

والنساء، واستاقوا من الأسارى والغنائم من البقر والغنم والأسلاب شيئاً كثيراً، ووصلوا بذلك إلى دمشق، فاشتري من الأسرى شيء كثير، وهرب بعضهم واستحيوا خلقاً كثيراً، والله تعالى يديم علينا ستره وعافيته بمحمد وآله، الحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به غيرنا.

وممن قتل في هذه الكرة بنابلس الأمير مجير الدين بن سيف الدين بن أبي زكرى، وكان شجاعاً بلغني أنه قتل من التاتار قبل أن يقتل جماعة بسيفه ومازال يضرب به حتى خطف النصل من يده فصار يقاتلهم بنفسه يضرب بالدبوس، ويتقي به الضرب ويرفس برجله من يصل إليه من الفرسان حتى قتل سبعة عشر أو تسعة عشر، ثم قتل رحمه الله، وكان التاتار يتعجبون منه وأتوا بنصل سيفه إلى دمشق، ووقف عليه أمراؤهم، وقد كانت قلعة دمشق امتنع بها الوالي والنقيب في جمع كثير بها، فاحتيج إلى حصارها، فجاءها من التاتار خلق كثير، وصلوا يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى، فباتوا تلك الليلة حتى قطعوا من الأخشاب مااحتاجوا إليه وكانوا استصحبوا معهم المجانيق تجرها الخيل وهم ركاب عليها، وقدموا قبل ذلك أسلحة تجرها البقر على العجل، وأصبحوا يوم الاثنين يجمعون الحجارة لرمي المجانيق، فأخربوا حيطاناً كثيرة، وأخذوا الحجارة من أساسها، وأخربوا طرقاً من القنوات بسبب الحجارة وهيأوها للرمي، ونصبت المجانيق في ليلة الثلاثاء، وكانت أكثر من عشرين منجنيقاً، وأصبحوا يرمون بها رمياً متتابعاً كالمطر، فأخرب كثيراً من القلعة من غربها فلما أمسوا حتى طلبوا الأمان فأومنوا وخرجوا من الغد، ونهب مافي القلعة، وأحرق فيها مواضع كثيرة وهدم من أبراجها أعاليها، ثم ساروا إلى بعلبك فتسلموها وحاصروا القلعة وأخذوها، وساروا إلى نابلس وغيرها، ووكلوا بخراب كل مدينة بين برجين من قلعة دمشق ففعل ذلك. الحكم لله العلي الكبير.

وأما السلطان الملك الناصر يوسف كان بعساكره بغزة، فلما بلغه خبر

نابلس توجه إلى مصر فنزل العريش ثم قطيا، ثم تفرق عسكره، فتوجه الترك إلى مصر مع الأثقال، وتوجه هو مع خواصه إلى وادي موسى، ثم نزل بركة زيزياء وكبسه نائب التاتار كتبغا بها، فهرب ثم استأمن له بعض أصحابه هو حسين الطبردار، وصار إليهم، وكان معهم في ذل وهوان، ثم قتلوه ببلادهم.

وجاءنا الخبر عن الهاربين من دمشق إلى مصر بموت الجمال يوسف الدبابيسي، أحد المعدلين؛ وشرف الدين بن العز المؤذن، وقبض على خواص السلطان، وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره فوق قطعة شبكة زعموا أنه رأس الكامل محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميافارقين، الذي دام التاتار على حصاره أكثر من سنة ونصف، ولم يزل ظاهراً عليهم إلى أن فني أهل البلد لفناء زادهم، وبلغني أنه دخل عليه البلد فوجد مع من بقي من أصحابه موتى أو مرضى، فقطع رأسه وحمل إلى البلاد، فطيف به بدمشق، ثم علق على باب الفراديس الخارج رحمه الله ،وقلت في ذلك:

ابن غازغزا وجاهد في ا
لله قوماً أثخنوا في المشركين
والعراقين ظاهراً غالباً وبهاما
ت شهيداً بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه أن طيف بالرأس منه
فله أسوة برأس الحسين
وافق السبط في الشهادة والحمـ
ـل لقد حاز أجره مرتين
جمع الله حسن دين الشـ
ـهيدين على قبح ذينك الفعلين
ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الـ
ـرأس فاستعجبوا من الحالتين

وارتجو أنـــــه يحيـــــى لـــــدى البعـــــــ
ـــــــــث رفيـــــــــق الحسين في الحسنيين

رضي الله عنه، ثم وقع من الاتفاق العجب أن دفن في مسجد الرأس داخل باب الفراديس شرقي المحراب في أصل الجدار، وغربي المحراب طاقة يقال إن رأس الحسين رحمه الله دفن بها، وفي غده يوم الأربعاء قرىء فرمان القاضي محيي الدين بالجامع تحت قبة النسر، وفيه توليته القضاء من قنسرين إلى العريش، ونائبه أخوه لأمه شهاب الدين اسماعيل بن أسعد بن حبش، وحضر قراءة الفرمان نائب ملك التاتار من المغل «ايل سبان» وزوجته قعدت معه على طراحة نصبت لها بين زوجها والقاضي إلى جانب العامود الشرقي الكبير الأوسط من أبواب النسر بالجامع، وشرع القاضي في جر الأشياء إلى نفسه وأولاده ومن يتعلق به عدم الأهلية، وأضاف إلى نفسه، وأولاده وأخيه ونحوهم عدة من المدارس، كالعذراوية، والسلطانية، والفلكية، والركنية، والقيمرية، والكلاسة انتزعها من الشمس الكردي، وانتزع منه أيضاً الصالحية، وسلمها إلى العماد بن العربي، ونزع الأمينية من العلم القاسم وسلمها إلى ولده عيسى، ونزع الشومانية من الفخر النقجواني، وسلمها إلى الكمال ابن النجار، ونزع الربوة من الجمال محمد اليمني وسلمها إلى الشهاب محمود بن القاضي شرف الدين عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان، وهو ابن عمه كل هذا مع ماعرف منه من التقصير في حق الفقهاء في المدرستين اللتين كانتا بيده من قديم الزمان:العزيزية والتقوية، وعدم انصافه فيهما، وولى ابنه عيسى مشيخة الشيوخ بخوانق الصوفية، واستناب أخاه لأمه في القضاء، ومعه من المدارس: الرواحية، والشامية البرانية، مع أن شرط واقفها أن لايجمع المدرس بينها وبين غيرها، وبقي كذلك إلى أن ملك المسلمون في أواخر رمضان، فبذل أموالاً كثيرة على أن يقر القضاء والمدارس المذكورة في يده ويد أخيه وولديه، ففعل ذلك فبقي نحو شهر، ثم سافر مع السلطان إلى مصر، وتولى القضاء نجم

الدين أبو بكر بن صدر الدين رحمه الله ابن سني الدولة، وقرىء منشوره بشباك الحكم بالجامع يوم الجمعة الحادي و العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين وستمائة.

وفي عاشر جمادى الآخرة توفي الفقيه شرف الدين عبد الواحد بن الحسام الواعظ المعروف بابن الحموي، ودفن من الغد بالجبل رحمه الله، وفي يوم الاثنين صبيحة الأحد جاءنا الخبر من بعلبك بوفاة القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله المعروف بابن سني الدولة، وكان قد سافر مع القاضي محيي الدين المذكور إلى ملك التاتار، ثم رجعا على طريق بعلبك، فمرض صدر الدين فأقام بها وتوفي بعد صلاة الجمعة ثامن جمادى الآخرة رحمنا الله وإياه، وأخبرني العلاء علي بن الشيرازي أنه رآه في المنام، فسأله عن حاله فقال: لما وصلت قيل هاتوا الدرة، اللهم عفوك، وعمل عزاؤه بالجامع يوم الثالث عشر من جمادى الآخرة، ووصل الخبر باستيلاء التاتار على قلاع الصلت، وعجلون، وصرخد، وبصرى والصبيبة، وهدم الجميع، ووقعوا على العرب عند زيزياء وحسبان، فهزموهم وغنموا أولادهم، ونساءهم، وأنعامهم شيئاً كثيراً، واستاقوا الجميع وهرب سلطان البلاد الناصر يوسف بن محمد إلى البراري، فساقوا خلفه فأخذوه وقد بلغ شربة الماء نحو مائة دينار، وأتوا به إلى نائب التاتار كتبغا فوقفه وأهانه وقرعه، ثم أتوا به دمشق مع من قدم من الكرك من الدمشقيين الذين كانوا هربوا إليها، قدم بهم القاضي كمال الدين التفليسي بعد مشقة شديدة وجدوها في الطريق من ترددهم مع التاتار كيفما داروا، فبقوا في الطريق من الكرك إلى دمشق نحواً من خمسة وثلاثين يوماً، ثم وصلوا في سادس رجب، وسار جماعة من التاتار بالملك الناصر صاحب الشام إلى هولاكو، وذلك في رابع عشر رجب، ومعه ابنه العزيز، فأقام عندهم إلى أن قتلوه في سنة تسع وخمسين الآتي ذكرها، لما بلغ هولاكو كسرة التاتار الذين كانوا بالشام مع ملكهم

كتبغا، فضربوا رقبته، ورقبة أخيه، والصالح بن شيركوه وغيرهم على مابلغنا.

وفي أواخر جمادى الآخرة توفي النجيب بن النحاس نائب القاضي نجم الدين بن الصدر سني الدولة، ثم توفي سيف الدين غلام النظام ابن المولى.

وفي نصف شعبان أغارت العرب على خيل الجشار التي للتاتار، ومن يتعلق بهم فاستاقوها وكانت ترعى بالمرج بتل راهط وماحوله، وخرج التاتار من دمشق وماحولها خلفها، وكان قد وصل دمشق الأشرف بن المنصور بن المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي، صاحب حمص، كان نزل في داره وقرىء فرمانه بتسليم نظره في البلاد، فخرج مع التاتار خلف خيل الجشار، ثم رجعوا ولم يقعوا عليها.

وفي شعبان ضربت رقبة والي قلعة دمشق بدر الدين بن قراجا، ورقبة النقيب جمال الدين بن الصير في الحلبي بالمعسكر وغيرهما.

وجاءنا الخبر من مصر في شهر رمضان بوفاة الحكيم جمال الدين بن الرحبي الطبيب ابن الطبيب، وكان ديناً خيراً فاضلاً في المعالجة الطبية مصلياً جيد العقيدة رحمه الله.

وفي خامس رمضان توفي الشيخ محمد المعروف بالأكال، قلت: هو محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر البيطار من جبل بني هلال، مولده بقصر حجاج، خارج دمشق سنة ستمائة كما ذكر، وهو الذي كان يأكل من أطعمة الناس بالأجرة، وكان يتم له في ذلك نوادر وعجائب، قد ذكرت طرفاً منها في موضع غير هذا، وكان حسن الأخلاق محسناً إلى الفقراء صالحاً رحمه الله. وتوفي أيضاً النجم بن الوجيه بن البوني، وكان رجلاً حسناً، صالحاً، وأبوه شيخ مشهور بالقراءات، قرأت عليه في

صغري الجزء الأول من سورة البقرة، وكان إمام مقصورة الحنفية التي خلف مقصورة الخضر رحمهما الله، ومات أيضاً في رابع رمضان الشيخ سليمان المعري المقيم بالكلاسة في زاوية الشيخ عبد الصمد الدكالي، شيخ المغاربة، وكانا من أهل الخير رحمهما الله.

ووصل الخبر في ثامن رمضان باستيلاء التاتار على صيدا من بلاد الفرنج ونهبها وثلاثمائة أسير منها، وفي أواخر شهر رمضان مات الرشيد من بني الحنبلي، وجاءنا الخبر من بعلبك بوفاة الشيخ محمد اليونيني شيخ الحنابلة ببعلبك، وكان شيخاً ضخماً، واسع الوجه، كبير اللحية، يلبس على رأسه قبع فرو أسود صوفه إلى الخارج بلا عمامة، ونفق على جماعة من الملوك والأمراء وحصل منهم دنيا واسعة، ورفاهية عيش، وهو الذي صنف أوراقاً فيما يتعلق باسراء النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وأخطأ فيه أنواع من الخطأ الفاحش، فصنفت أنا في الرد عليه كتاباً سميته «الواضح الجلي في الرد على الحنبلي» وكان موته على ماأخبرني به ولده يوم السبت تاسع عشر رمضان رحمه الله، والله تعالى يرحمنا واياه وسائر المسلمين.

تمام ماجرى في سنة ثمان وخمسين وستمائة

من ذلك كسرة التاتار، خرج عساكر أهل مصر مع من انضوى إليهم من العرب وغيرهم لقصد التاتار الذين بالشام، وملكهم يومئذ المظفر قطز بن عبد الله التركي مملوك التركماني الذي كان قبله ملك مصر، فاجتمع معه خلق عظيم، ولما كان ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان جاءنا بدمشق الخبر بأن عسكر المسلمين وقع على عسكر التاتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت وماقاربها من البلاد، فهزموهم وقتلوهم وأخذوهم ومعهم ملكهم كتبغا فقتل، وأخذ رأسه وأسر ابنه فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التاتار ايل سبان نائب الملك، وأتباعه، وتبعهم الناس وأهل الضياع ينهبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم ولله الحمد والشكر.

وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد بن العزيز بن العادل صاحب الصبيبة وبانياس بقي محبوساً بقلاع الشام بعد موت الصالح أيوب وابنه تورانشاه، وكسر الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة، وآخرها بقلعة البيرة على الفرات، فلما وصلت التاتار إليها أخرجوه وصار معهم ثم قدم مع مقدمهم كتبغا دمشق، وحضر فتح قلعتها، وتسلم بلاده، فلما قدم العسكر المصري في هذه الكرة قاتل مع التاتار، فلما وقعت الكسرة عليهم جاء إلى الملك المظفر قطز، وفي ظهر تاريخ الأحد سابع عشري رمضان ورد كتاب، وهو أول كتاب ورد منه، إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة، وبمواصلة الزحف إليهم بعدها.

وفي التاسع والعشرين من رمضان قتل بالجامع الفخر محمد بن يوسف الكنجي، وكان من أهل العلم بالفقه والحديث، لكنه كان فيه كثرة كلام وميل إلى مذهب الرافضة، جمع لهم كتباً توافق أغراضهم، وتقرب بها إلى الرؤساء منهم في الدولتين الإسلامية والتاتارية، ثم وافق

الشمس القمي فيما فوضه اليه من تخليص أموال الغائبين وغيرهم، فانتدب له من تأذى منه وألب عليه بعد صلاة الصبح فقتل وبقر بطنه، كما قتل أشباهه من أعوان الظلمة مثل: الشمس بن الماكسيني وابن البغيل الذي كان يسخر الدواب، ومن العجائب أن التاتار كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك وقلت في ذلك:

غلب التاتار على البلاد فجاءهم
من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم
ولكل شيء آفة من جنسه

وجاءنا الخبر بوفاة الأمير حسام الدين بن أبي علي بالديار المصرية في أواخر شعبان من هذه السنة، وقد كان النصارى بدمشق قد شمخوا بسبب دولة التاتار، وتردد ايل سبان وغيره من كبارهم إلى كنائسهم، وذهب بعضهم إلى الملك هولاكو، وجاء من عنده بفرمان لهم اعتناء بهم وتوصية في حقهم، ودخلوا به البلد من باب توما وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولها بارتفاع دينهم واتضاع دين الإسلام، ويرشون الخمر على الناس وبأبواب المساجد، فركب المسلمين من ذلك همّ عظيم، فلما هرب التاتار من دمشق ليلة الأحد السابع والعشرين من رمضان أصبح الناس إلى دور النصارى ينهبونها ويخربون ما استطاعوا منها، وكانت النصارى قد عبروا من باب توما قاصدين درب الحجر، ووقفوا عند رباط الشيخ أبي البنان ونادوا بشعارهم ورشوا الخمر بباب الرباط، وفعلوا مثل ذلك على باب مسجد الحجر الصغير والمسجد الكبير، وألزموا الناس من دكاكينهم بالقيام للصليب، ومن لم يفعل ذلك اخرقوا به وأقاموه غصباً، وشقوا به السوق إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم، فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وبجّل دين النصارى ووضع من دين الإسلام ،ثم عطفوا من خلف السوق إلى الكنيسة التي أخر بها الله بعد ذلك، وكان ذلك في ثاني عشري رمضان،

وفي الغد صعد المسلمون مع قضاتهم وشهودهم إلى ايل سبان بالقلعة فأهانوهم ورفعوا قسيس النصارى عليهم وأخرجوهم من القلعة بالضرب والإهانة، وفي غد حضر ايل سبان في الكنيسة، وفي الغد كانت الكسرة وأخرب المسلمون من كنيسة اليعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقت كوماً والحيطان حولها تعمل النار في أخشابها، وقتل منهم جماعة، واختفى الباقون، وجرى عليهم أمر عظيم اشتفي به بعض الأشتفاء صدور المسلمين، وهموا بنهب اليهود فنهب قليل منهم، ثم كفوا عنهم لأنهم لم يصدر منهم ماصدر من النصارى.

وفي يوم الجمعة ثاني شوال خطب بجامع دمشق الأصيل المسعودي، الذي كان خطيباً به أول دولة نجم الدين أيوب، ثم عزل بالشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم خطب عماد الدين بن خطيب بيت الأبار، ثم خطب القاضي عماد الدين بن الحرستاني نحو ثلاث عشرة سنة، ثم عزل بهذا الأصيل، وكان له صوت حسن في الخطابة والقراءة فبقي متولياً للخطابة والإمامة بجامع دمشق إلى سلخ شوال مدة شهر واحد، ثم سافر مع السلطان الملك المظفر إلى مصر، وأعيد منصب الخطابة والإمامة إلى القاضي عماد الدين بن الحرستاني الذي كان به من قبل، وجاءنا الخبر بأن المنهزمين من رجال التاتار ونسائهم لحقهم الطلب من المسلمين بأرض حمص ونحوها، فسيبوا ماكان معهم من أسرى المسلمين وتبعجت خيولهم فتخففوا مما معهم حتى أنهم رموا أولادهم وضربوا رقاب من عجزوا عن حمله من نسائهم، وعرجوا نحو طريق الساحل وخطف منهم خلق وقتل ناس، وأسر جمع، والطلب خلفهم ليستأصلوا إن شاء الله(١٣٦).

وجاءنا الخبر في سادس شوال بموت العماد أبي حامد الحسن بن عماد الدين علي بن الحافظ بهاء الدين القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالحافظ بن عساكر، وكان قد خرج من دمشق

إلى مصر أيام الجفلة من التاتار، ولما بلغه استقامة الشام وأمنه خرج مع غيره من مصر على طريق الشوبك والكرك، فمرض وتوصل إلى نحو زرع(١٣٧) فمات رحمه الله.

وفي رابع عشر رمضان جرت علي حكاية من نائب التاتار المذكور واسمه ايل سبان لعنه الله واياهم، اهانة وتهديداً بضرب الرقبة على أن وضعت خطي لهم بمبلغ كبير من المال ظلماً وقهراً، فلم تمض بعد ذلك اليوم إلا عشرة أيام حتى كسر التاتار بأرض كنعان بعين جالوت وماوالاها كسرة عظيمة مشهورة، كسرهم الملك المظفر المذكور، كما تقدم وهرب ايل سبان، ومن كان بدمشق معهم ليلة جاءهم الخبر، وعجب الناس من سرعة هذا الفرج وقيل في ذلك:

تفرق جمع الكفر لما تعرضوا
أبا شامة ظلماً وكدر ورده
أرادوا به كيداً وما هيب علمه
فغار له الرحمن إذ هو عبده
فما كان بين الجور منهم وكسرهم
لدى رمضان غير عشر نعده
فحاشى لمفتي الشام يهمل أمره
ويخفض ذو علم ويرفع ضده
له أسوة بالأنبياء وصالحي الـ
ـبرية فيه ليس يخلف وعده
يعز علينا ما جرى غير أننا
نسر به حيناً فلا كان فقده

والحمد لله على النصرة عليهم والله المستعان.

وفي شهر رمضان توفي الحاج سليم الفقيه، كان بالمدرسة الشامية رحمه الله، واسمه: سليم ـ بفتح السين وكسر اللام ـ.وفي ثاني ذي القعدة توفي

إمام المدرسة الحسامية جمال الدين النابلسي أخو الزين خالد المحدث، ودفن بالجبل رحمه الله، وفي ثاني عشر ذي القعدة توفي علي ابن حديد ابن عبيد السبنسي المصري الفقيه المقرىء، وكان من سكان المدرسة الأمينية، وهو من أصحاب الشيخ أبي عمرو بن الحاجب رحمه الله، وممن خدمه كثيراً من حين جاء معه من مصر سنة سبع عشرة وستمائة إلى أن توفي، وكان رجلاً حسناً مشتغلاً بنفسه صالحاً ديناً، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

وفي الحادي والعشرين منه قرىء منشور نجم الدين بن سني الدولة بولاية القضاء بدمشق، وفي الثامن والعشرين من ذي القعدة توفي الجمال أبو الحرم مكي بن محمد بن المسلم بن أبي الخوف رحمه الله، وقبله توفي من أهل حارة الخاطب أيضاً القطب ابن الليواني، وكان من مشايخ الفقراء، منقطعاً بمسجد الحارة، ظريفاً لطيفاً كرياً رحمه الله، وجاءنا الخبر بوفاة الزكي اللبني ببعلبك، وكان قاضياً بها، وكان قبلها تولى القضاء ببانياس، ثم ببصرى رحمه الله.

ووصل الخبر بأن الملك المظفر قطز الذي ملك مصر والشام وكسر التاتار قتل في رجوعه من الشام إلى مصر قبل دخوله مصر بين الغرابي والصالحية وكانت مدة ملكه منذ قبض على ابن استاذه التركماني إلى أن قتل نحو من سنة واحدة ،والله تعالى يولى على المسلمين من يهتم بنصرة الإسلام وإقامة شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قطز هذا موصوفاً بمواظبة الصلاة والشجاعة، وتجنب شرب الخمر رحمه الله، واتفق بين كسره لجيش التاتار، وبين قتله قريب مما كان بين قتل المعظم بن الصالح بن الكامل وكسره الفرنج الذين كانوا بدمياط على ماسبق ذكره في أخبار سنة ثمان وأربعين، هاتين الأعجوبتين المتشابهتين نحو من عشر سنين، إلا أن السابقة كانت في أوائل سنة ثمان وأربعين، وهذه المتأخرة كانت في أواخر سنة ثمان وخمسين، والله تعالى يحسن العاقبة.

وتولى السلطنة بدمشق عقيب ذلك الأمير علم الدين سنجر المعروف بالحلبي التركي، وكان قطز قد استنابه فيها، فلما بلغه قتل قطز استحلف الناس وتسلطن وسكن القلعه.

وفي رابع ذي الحجة توفي الشيخ ابراهيم الفارقي أبو صالح، وكان شيخاً كبيراً صالحاً ملازماً أكثر أوقاته المجاورة بالزاوية التي فيها الشباك الكمالي بجامع دمشق، وهو الشباك الذي اعتاد القضاة الصلاة فيه يوم الجمعة، وأصله كان من أسعرد، وكان يرعى جانبه من جهة السلطان الأشرف بن العادل وأخوته وبيتهم، ودفن بالجبل رحمه الله.

وفي سادس ذي الحجة يوم الجمعة خطب بدمشق لمن تولى السلطنة بالديار المصرية بعد قطز، وهو: بيبرس البندقداري التركي الموصوف بالشجاعة والاقدام، ولقب بالملك الظاهر ركن الدين، وذكر بعده الذي تولى دمشق علم الدين سنجر الحلبي، ولقب بالملك المجاهد، وضربت الدراهم باسمهما.

وفي سابع عشر ذي الحجة توفي العفيف بن رحمه شيخ صالح مجاور بالجامع يخيط فيه، وهو والد الشرف بن رحمه المشتغل بسماع الحديث، ودفن بمقابر الصوفية العليا، صليت عليه إماماً خارج باب النصر، وحضرت دفنه، ولما رجعت مررت بدار الحديث الأشرفية فرأيت ماهي عليه من الشعث والخراب صورة ومعنى، بسبب قلة الاشتغال بها وخراب وقفها، فتذكرت ماكانت عليه زمان كنابها في سني نيف وثلاثين وستمائة، وشيخها يومئذ شيخنا الفقيه الحافظ تقي الدين عثمان بن الصلاح، فقلت بديها مشيراً إليها:

من بعد مامات رنطار والتقي بن الصلاح
هذاك للوقف والشيخ للعلوم الصحاح

رنطار هذا كان يعرف بالحاج رنطار، كان الملك الأشرف واقف دار

الحديث قد اعتمد عليه في عمارتها ووقفها، والنظر في ذلك في خدمة الأثر الشريف النبوي بها، وكان رزقها في أيامه متوفراً، واختل ذلك بموته، كما اختل الاشتغال في الدار المذكورة بعد موت الشيخ ابن الصلاح رحمهم الله، ونظير ذلك لأن نجم الدين بن سلام كان ناظر التربة الصلاحية، وكان الجماعة في أيامه دارة أرزاقهم؛ فلما توفي قال فيها شيخنا علم الدين السخاوي رحمه الله، وكان يتولى الاقراء بها يومئذ مخاطباً للجماعة المشتغلين بها:

والله والله لا أفلحتم أبداً
من بعد ما قد هوى النجم بن سلام

وكان الأمر على ماذكر اختل الوقف بعده والله المستعان.

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي المجاهد قايماز الإقبالي، أحد معتقي جمال الدولة اقبال صاحب المدرستين بدمشق، وكان هذا المجاهد رجلاً ديناً خيراً رحمه الله، ودفن بالجبل، صليت عليه إماماً بجامع بني أمية بدمشق وشيعته إلى مقبرة باب الفراديس، ثم مضي به إلى الجبل، وفي هذا الشهر توفي الحاج علي المعروف بدويخ، وكان أحد المقدمين في طريق الحج.

وفي هذه السنة كثر تغير الدول، ومتولي الحكم بالشام، فكان الشام أول السنة إلى نصف صفر في مملكة الناصر يوسف بن محمد بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، ثم صار في مملكة التاتار إلى الخامس والعشرين من رمضان، ثم صار في مملكة المظفر قطز صاحب الديار المصرية إلى أن قتل في ذي القعدة، ثم صار في سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، ويفعل الله مايشاء.

وكان القضاء في أول السنة تولاه الصدر أحمد بن سني الدولة مستقلاً به من خمس عشرة سنة إلى أن ولى التاتار كمال الدين محمود بن بندار

التفليسي، ثم ولوا محيي الدين بن الزكي، ثم ولى قطز نجم الدين بن الصدر ابن السني، وابتلي الناس في هذه السنة بغلاء شديد عام في جميع الأشياء من المأكول والملبوس وغيرهما، بلغ رطل الخبز درهمين، ورطل اللحم خمسة دراهم، وأوقية القنبريس درهما، والجبن درهما ونصف، والثوم أوقية بدرهم، والعنب رطل بدرهمين، ومن أكثر أسبابه ماأحدثه الفرنج من ضرب الدراهم المعروفة باليافية، وكانت كثيرة الغش بلغني أنه كان في المائة منها خمسة عشر درهماً فضة والباقي نحاس، وكثرت في البلد كثرة عظيمة، وتحدث في ابطالها مراراً، فبقي كل من عنده شي حريصاً على إخراجه خوفاً من بطلانها، فتراه يدأب في شراء أي شيء كان فيتزايد في السلع بسبب ذلك إلى أن بطلت في أواخر السنة، فعادت كل أربعة منها بدرهم ناصري مغشوش أيضاً بنحو النصف.

ثم دخلت

سنة تسع وخمسين وستمائة

أولها يوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول.

ففي أول المحرم جاءنا الخبر بجفلة أهل حلب وماوالاها إلى دمشق بسبب تجمع التاتار الذين كانوا بحران وغيرها من بلاد الجزيرة، وانضم اليهم من انهزم من وقعة كسرتهم، وضعفوا بما كان عندهم من شدة الغلاء بحران، وكانت البلاد قد خربت، فاضطروا إلى الاغارة على بلاد حلب، فانجفل الناس منهم، ثم جاءنا الخبر في سابع المحرم بأنهم كسروا بأرض حمص كسرة عظيمة، فضربت البشائر بذلك، وكانت الكسرة عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى قريب الرستن، وذلك يوم الجمعة خامس المحرم، وقتل منهم نحو ألف رجل، ولم يقتل من المسلمين سوى واحد، وفي ثالث عشر المحرم طيف برؤوس طائفة منهم في أسواق دمشق من القتلى مرفوعة على عصي بأيدي الصبيان يجبى عليها الفلوس.

وفي يوم تاسوعاء توفي الشرف حسن بن الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله، وكان رجلاً خيراً.

ثم جاءنا الخبر في نصف المحرم برجوع التاتار ونزولهم على حماه، فجفل الناس إلى دمشق، وقدم صاحب حمص وصاحب حماه في طلب النجدة، واجتماع المسلمين على القتال، ونزل المجاهد الحلبي الذي كان قد تسلطن بدمشق عن السلطنة، وانقاد الجميع لسلطنة صاحب مصر لقوته بالمال والرجال، ثم ورد الخبر برجوع التاتار، وتخطف صاحب صهيون منهم جماعة، وقتل الحشيشية لصاحب سيس لعنه الله، ووقع السيف بين التاتار وابن صاحب سيس، الله يصدق ذلك ويتمم نصر المسلمين.

وفي خامس صفر توفي جمال الدين يوسف بن الناصح علي بن مرتفع ابن أفتكين، وكان هو وأبوه وأخوه من عدول البلد، ويتولون المدرسة السرورية، رحمه الله، ودفن على أبيه بالجبل، وفي ليلة الأحد ثاني عشر صفر هرب سنجر الحلبي الذي كان تسلطن بدمشق، ونزل في قلعة بعلبك، وقبض على أعوان الظلمة الذين كانوا منصوبين لمصادرة الناس.

فمنهم: المجاهد سليمان، وغلامه سيف الدين، والأسعد المسلماني، ثم قبض عليه من بعلبك وأرسل تحت الحوطة إلى مصر.

وفي العشرين من صفر توفي الكمال القزويني أحد القراء بالتربة الأشرفية، وكان شيخاً صالحاً ومقرئاً حسناً رحمه الله تعالى.

وفي الحادي والعشرين درس القاضي نجم الدين بن الصدر بن سني الدولة بالمدرسة العادلية، وعزل الكمال التفليسي عنها، واعتقل بسبب الحياصة الناصرية التي تسلمها التاتار، وكانت رهناً بمخزن الأيتام على الدين الذي اقترضه الناصر صاحب دمشق من ورثة عرفة الدنيسري، فبقي الكمال في الاعتقال خمسة عشر يوماً، ثم أفرج في السنة الآتية إلى التحول من دمشق إلى مصر، ففارق ماكان فيه وسكن مصر.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول توفي الخطيب زين الدين خطيب حماة رحمه الله، وكان له معروف كثير، ووقف أوقافاً حسنة، وكان حسن الخطابة كثير الخير والصدقة، وفي هذا الشهر تجمع الفرنج وخرجوا على المسلمين وهم تسعمائة فارس قنطارية، وألف وخمسمائة تركبلي، ونحو ثلاثة آلاف راجل وأخذ الجميع قتلاً وأسراً، ولم يفلت منهم سوى واحد، وبعض من كان معهم، وانضاف إليهم من رجالة تلك الضياع من ضعاف المسلمين في الدين، وأسر جماعة من ملوكهم.

وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر توفي ابني الصغير اسماعيل جعله

الله فرطاً صالحاً لأبويه، ورحمه وإيانا، وصليت عليه خارج باب النصر، ودفنته تحت أخوته بمقبرة ابن زويزان المجاورة للصوفية، وعمره يوم مات سنة واحدة وشهران ونصف شهر، وفي ذلك اليوم توفي الخادم سابق الدين الأشرفي المجاور بالتربة الأشرفية، وكان خادماً خيراً رحمه الله، وفي عاشر ربيع الآخر توفي التاج الساسي المغربي، وكان شيخاً فيه خير وسكون وحياء، مقرباً عند الحاكم بدمشق الصدر بن سني الدولة رحمه الله. وفي الخامس والعشرين من ربيع الآخر توفي الشريف المخلص من بني أبي الحسن الحسيني، التاجر بقيسارية الفرس، وكان شيخاً كبيراً، وأحد عدول القاضي بدمشق رحمه الله، وفي تاسع جمادى الأولى عقد مجلس العزاء بالجامع المعمور بدمشق للسلطان الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، الذي كان سلطان حلب، ثم ملك دمشق وأعمالها، وهرب من التاتار ، وسلم اليهم بلاده، ثم سلم نفسه إليهم فأهانوه، ومضى إلى ملكهم هولاكو، فجاءنا خبره أنه ضربت رقبته مع جماعة لما بلغهم أن العسكر المصري كسر عسكر التاتار بعين جالوت، وقتل ملكهم كتبغا فكأنهم اقتصوا منه رحمه الله.

ومات قبل ذاك بيومين الشجاع بن سنقر شاه الذي كان يتناول وقف بيس بقرية داعية(١٣٨) رحمه الله.

وفي هذه الشهور توفي شهاب الدين الرفيع الشاهد تحت الساعات، وذبح زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بالجبل، ثم ورد إلى دمشق أولاد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وهما صاحب الجزيرة يومئذ، وصاحب الموصل بعيالهم، وأموالهم، ومعهم من أهل البلاد من كان له قدرة على السفر لخوف عرض لهم، وساروا إلى مصر، ثم رجعوا مع سلطانها في آخر السنة، ومضوا إلى بلادهم ظاهرين على العدو إن شاء الله.

وفي تاسع عشر رجب، قرىء بدمشق بالمدرسة العادلية كتاب ورد من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس، يتضمن أنه قدم عليهم مصر أبو القاسم أحمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين، وهو أخو المستنصر بالله الذي بنى المستنصرية ببغداد، وأنه جمع له الناس من مدينتي مصر والقاهرة من العلماء والأمراء والتجار، وأثبت نسبه عند قاضي القضاة بذلك المجلس، فلما ثبت بشهادة جماعة من الحاضرين عرفوه أنه ولد الظاهر بن الناصر، اسجل الحاكم عليه ثبوت ذلك المجلس، ثم بايع له الناس بعدما بدأ السلطان له بمبايعته، ورضوا جميعاً بخلافته، وأمر بنقش اسمه على الدينار والدرهم، وأن يخطب له على المنابر، وكان ذلك الاثبات والمبايعة في رابع ساعة من يوم الاثنين ثالث عشر رجب، وسر الناس بذلك سروراً عظيماً، وشكروا الله على عود الخلافة العباسية بعدما كان الكفرة التاتار قطعوها بقتل الخليفة المستعصم بن الظاهر، وهو ابن أخي هذا الذي بويع بمصر، وبسبب تخريب بغداد وقتل أهلها وذلك سنة خمس وخمسين، فبقي الناس بغير خليفة نحو أربع سنين ونصف، وصورة الكتاب الوارد إلى قاضي دمشق:

«هذه المكاتبة إلى القاضي نجم الدين يعلمه بما تجدد من أمر يبهج الأمة، ويستدعي الرحمة، ويأخذ الثأر ممن هتك للاسلام حرمه، وهو أنه ورد علينا الإمام أبو القاسم أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر سلام الله عليه في أمر نسبه، وأخذ البيعة له، فحضر جماعة شهدوا بالاستفاضة أنه ولد الإمام الظاهر، وثبت ذلك عند قاضي القضاة لدينا ثبوتاً شرعياً، واسجل عليه بحضور العالم، وعند ذلك بسطنا لمبايعته راحتنا، واقتفى أثرنا الأمراء والحلقة والناس كافة في مبايعته، والرضى بخلافته، وذلك في رابعة يوم الاثنين ثالث عشر رجب، وتقدمنا بأن يخطب له ويتوج مفرق الدينار والدرهم باسمه الشريف، ونحن بصدد اهتمام نصرة الإسلام على يديه، وإهداء كرائم الأموال والذخائر إليه، فليستند من منصبه الشريف إلى إمام صحيح النسب شريف الحسب،

ويجعل استناد أحكامه إلى ولايته الصحيحة، ومبايعته الصريحة، وليعلن هذا الخبر السار في البادين والحضار».

وفي سابع عشر شعبان توفي بحماة الشيخ شرف الدين محمد أبي بكر الجوبراني، كان مشهوراً بالعلم وفي خامس رمضان توفي الشهاب بن خواجا أخو الضياء المعروف بالجوبراني أحد فقهاء المدرسة الحسامية، وكان رجلاً صالحاً سليم الصدر به نوع اختلال يسكن في تربة مثقال الجمدار، قبالة تربة سركس بجبل قاسيون، في قبالة تربة خاتون رحمهم الله تعالى. وفي شوال قتل قطب العالم أخو العز الخلاطي الذي شنق نفسه بالمدرسة العادلية.

وفي يوم الاثنين سادس ذي القعدة وصل إلى دمشق العساكر المصرية مع السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي المعروف بالبندقداري، ومعهم الخليفة المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بن الناصر، واحتفل الناس للقائهما، وكان يوماً مشهوداً ونزل الظاهر بالقلعة، ونزل الخليفة بالتربة الناصرية بجبل قاسيون، ثم يوم الجمعة عاشر ذي القعدة دخل الخليفة إلى جامع دمشق من باب البريد، وجاء السلطان من باب الزيارة، ودخلا مقصورة الخطيب سبق الخليفة، وبعده جاء السلطان وحضرا الخطبة والصلاة ثم خرجا بعد الصلاة والناس يدعون لهما بالنصر والإعانة على قمع الكفرة أعداء الدين.

وفي ثاني عشر ذي القعدة توفي الزين عمر بن عقيل التنوخي وكان قليل الدين مخلطاً، اللهم استرنا واغفر لنا، وجاءنا الخبر في ذي القعدة من الديار المصرية بوفاة الصفي ابراهيم بن مرزوق التاجر، المحظوظ في التجارة، وكان في زمن الملك الأشرف موسى يدعى بالصاحب، وبقي بالشام مدة يتصدق عنه كل يوم بجملة من الخبز.

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي القعدة سافر الخليفة بمن صحبه من العساكر إلى نحو العراق في طريق البرية، وسافرت قطعة من العساكر إلى أرض حلب وحران وطائفة ساروا إلى بلاد الفرنج نصر الله المسلمين ،فأغاروا، ثم عادوا ووقع الصلح بينهم.

وفي يوم الخميس ثامن ذي الحجة عزل عن قضاء دمشق النجم بن الصدر بن سني الدولة، ونولى القاضي شمس الدين أحمد بن بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان الذي كان نائباً في الحكم بالقاهرة سنين كثيرة، وجلس مكان النجم وأبيه بالمدرسة العادلية، ثم وكّل على النجم وأمره بالسفر إلى الديار المصرية، وكان حاكماً جائراً، فاجراً ظالماً متعدياً فاستراح منه العباد والبلاد، وهو الذي شاع عنه أنه أودع كيساً فيه ألف دينار فرد بدله كيساً فيه فلوس، وذكر ذلك في القصيدة التي هجي بها لما تولى الحكم، ورفعت إلى الملك المظفر، والمولى الأمير المجير، وابن وداعة، وفي الجملة تولى الحكم في زماننا ثلاثة مشهورون بالفسق،هذا الظالم، والرفيع الجيلي، وابن المصري، كان نائباً لأبيه وقلت في حصر القضاة ونوابهم:

دمشق في عصرنا مع فضلها بليت
من القضاة بجهال وأوقاح
بأعجمين ومصري وصائغهم
والإربلي وخياط وفلاح
هم ضعف ستة والنواب كلهم
ضعفان أحزانهم أضعاف أفراح

أي هم اثنا عشر: الزكي؛ وأخوه؛ وابن الحرستاني؛ وابنه؛ والجمال المصري؛ والخوئي؛ والرفيع؛ والتفليسي، وبنو سني الدولة ثلاثة؛ وابن خلكان؛ والبواب شرف الدين بن زين القضاة؛ وابن الشيرازي؛ والسراج مدرس القيمازية؛ وابن الموصلي؛ والشرف الحوراني؛ والنجم الحنبلي؛ وابن المصري؛ والسنجاري؛ وملكشاه؛ وعبد الله؛ والبكري؛ وقاضي العسكر؛

وابن عبد الكافي؛ وابن العجمي؛ واسحاق؛ والبدر بن خلكان؛ وأخوه المحيي؛ وابنه؛ وقلت في نظم الاثني عشر:

هم الزكي والحرستاني معا
وجمال مصر ثم الخوئي ثم ذو الراح
رفيعهم وبنو السني ومحييهم
وخلكان مع التفليسي يا صاح

ثم سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة يوم الخميس خامس عشر ذي الحجة، والدعاء عليه كثير، والتظلم منه شائع والدعاوي عليه كثيرة.

وفي الغد يوم الجمعة قرىء بالشباك الكمالي بجامع دمشق، وأنا حاضر فيه، تقليد القضاء للقاضي شمس الدين بن خلكان الإربلي ويتضمن أنه فوض إليه الحكم في جميع بلاد الشام من العريش إلى سلمية يستنيب فيها من يريده، وفوض إليه النظر في أوقاف الجامع والمصالح، والبيمارستان، والمدارس وغيرهما مما كان تحت يد الحاكم المعزول، وفوض إليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد المعزول وهي:

العزراوية، والعادلية، والناصرية، والفلكية، والركنية، والإقبالية، والبهنسية، وأنشدني العماد داود بن الحموي لنفسه في ذلك القاضي المعزول:

نجم أتاه ضياء الشمس فاحترقا
وراح في لجج الادبار قد غرقا
ناحت عليه الليالي وهي شامتة
وعرفته صروف الدهر ما اختلقا
وحدثته الأماني وهي كاذبة
بأنه لا يرى بعد النعيم شقا

وجـــاد بـــالمال كـــي تبقـــى ريـــاسته
وفتـــق الشرع والتقـــوى ومـــا رتقـــا
فجـــاءه سهـــم غـــرب جـــل مـــرسله
فمات معنـــى ومـــا أخطـــاه مـــن رشقـــا
وألقيـــت في قلـــوب النـــاس بغضتـــه
لكنهـــم قـــد غـــذوا في ذمـــه فـــرقـــا
ففـــرقـــة بقبيـــح الظلـــم تـــذكـــره
وفـــرقـــة حلفـــت بـــالله قـــد فسقـــا
وفـــرقـــة سلبتـــه ثـــوب عصمتـــه
بـــأنـــه ربـــاط الـــديـــن قـــد مـــرقـــا
وراح قسراً إلى مصر على عجـــــــل
مـــوافقـــاً للـــذي مـــن قبلـــه سبقـــا
مفـــارقـــاً لنعيـــم كـــان منغمســـاً
فيـــه ولـــذة يـــوم بـــدلـــت أرقـــا

وزدت أنا:

وفـــرقـــة وصفتـــه بـــالخلاعـــة مـــع
خبـــث وكبر وكـــل منهـــم صـــدقـــا

وفي يوم السبت سارت العساكر مع سلطانها الظاهر راجعة إلى مصر، وجاءنا الخبر من عانة بوصول الخليفة إليها، وأنه اتفق مع الخليفة الآخر الذي كان أقامه برلو بمدينة حلب، ويلقب بالحاكم ونقش اسمه على الدراهم، وخطب له على المنابر، فلما قدم صاحب مصر والشام بالعساكر، وتوجه الخليفة إلى العراق تزلزل أمره، ووفق بينهما، فانصاع الحاكم للمستنصر بسبب أنه الأصغر وذاك الأكبر، ووقع الاتفاق وزال الشقاق ولله الحمد.

ثم جاءنا الخبر في آخر السنة: خرج عليهم طائفة من التاتار وأصحابهم قبل وصولهم بغداد فقتلوا الخليفة وأكثر من كان معه، وجاء الخليفة

الأصغر هارباً إلى العراق، وقدم جماعة منهم دمشق هاربين وأخبروا بماجرى عليهم، وممن كان معهم وفقد :الكمال بن السنجاري، وابن العمري، وعبد العزيز بن عبد الملك بن عساكر وغيرهم.

obeikandl.com

ثم دخلت

سنة ستين وستمائة

ففي يوم الأربعاء ثاني عشر المحرم ذكرت الدرس بالمدرسة الركنية الملاصقة للمدرسة الفلكية، وابتدأت بها درساً من مختصر المزني رحمه الله بحضرة قاضي القضاة وغيره.

وفيها: في أوائل صفر توفي البرهان ابراهيم الصرخدي.

وفيها: في ثاني عشر صفر قتل الزين مظفر بن اسماعيل التاجر المعروف بالزين الصانع، صاحب الأملاك بقريتي داعية وحمورية وغيرهما، وقتل بعد صلاة الجمعة، وهو داخل من جبل قاسيون قبل أن يصل إلى مقبرة ابن صاحب قرقيسيا على حافة الساقية المقابلة للمزرعة المعروفة بالسميرية. قتله شخص من أهل قرية تل منين تبعه من الجبل، وقد عاينه باع شيئاً واستوفى ثمنه، ولم تمكنه الفرصة إلا هناك، ثم مسك القاتل فأقر فشنق بعد يومين بين الميدانين يوم الاثنين، ودفن الزين من الغد بجبل قاسيون رحمه الله يوم السبت ثالث عشر صفر.

وفيها: يوم الأحد الثاني والعشرين من صفر، دخل الخليفة الحاكم الذي كان بايعه برلو بحلب، وأنزل في قلعة دمشق مكرماً، وذلك بعد الوقعة التي قتل فيها الخليفة المستنصر، وكان معه، فهرب وسلم، ثم سافر إلى مصر يوم الخميس السادس والعشرين من صفر.

وفي ذلك اليوم توفي عثمان الكيال الأحول الساكن بحضرة حمام الحين ودفن بباب الصغير.

وفيها: وفي أواخر ربيع الآخر توفي العز الضرير الإربلي الذي كان

يقرىء علوم الأوائل في بيته، لمن يتردد إليه من أهل الملل مسلمها، وكافرها، ومبتدعها، من الرافضة، واليهود، والنصارى، والسامرة، وكان قليل الدين، لكنه كان فصيحاً حسن المحاضرة، والله تعالى يختم لنا بخير آمين.

وفي أول جمادى الأولى توفي بمكة التاج أبو الحسن بن زين الأمناء، وصلى عليه بجامع دمشق يوم الجمعة رابع عشر ربيع الخطيب عماد الدين بن الحرستاني عندما صح خبر موته رحمه الله.

وفيها: جاءنا الخبر من مصر بوفاة الشيخ عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله، وعمل عزاؤه بجامع العقيبة يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة؛ ثم جاء من حضر جنازته وأخبر أن وفاته كانت يوم الأحد عاشر جمادى الأولى أو حادي عشره، وكان يوماً مشهوداً حضر جنازته الخاص والعام، ونزل السلطان الظاهر بيبرس وصلى عليه مع الناس بالقرافة، ودفن في آخر القرافة مما يلي الجبل من ناحية البركة، وصلى عليه في جامع دمشق وغيره من الجوامع بالشام يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى رحمه الله، ونادى النصير المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة: الصلاة على الفقيه الإمام شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام.

وفيها: في حادي عشر جمادى الأولى توفي الجمال عبد الوهاب بن المصري الأعور ،وكان قديماً بالمدرسة الجاروخية في حياة شيخنا فخر الدين بن عساكر، ثم صحب بني سني الدولة وانتفع بهم وكف بصره في آخر عمره ودفن.

وفيها: في رجب من هذه السنة جرى علي الشمس محمد بن مؤمن الحنبلي أمر بتعصب أهل الجبل عليه، بأن حمل والي دمشق على صفعه وتجريصه على حمار بدمشق وبالجبل.

وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الصاحب كمال الدين عمر بن أبي جرادة الحنفي، المعروف بابن العديم في العشرين من جمادى الأولى، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب رحمه الله، وكان فاضلاً متواضعاً، حسن المحاضرة، كثير الإفادة، وسود تاريخاً لحلب، وبيض بعضه، وفي تاسع عشر جمادى الأولى توفي الجمال عبد الله بن عبد الملك الحنبلي المعروف بعفلق. وفي السادس والعشرين من جمادى الأولى توفي التاج عبد الرحمن ابن عبد الباقي بن الخضر الحنفي المعروف بابن النجار، وكان أحد شهود باب الجامع، ومدرساً في بعض مناصب الحنفية رحمه الله، وهو الذي كان عقد نكاحاً على مذهبه باذن الصدر بن سني الدولة الحاكم الشافعي، ثم أذن الصدر لنائبه الكمال التفليسي في نقضه، وجرى في ذلك انكار عظيم على الناقض والآذن، وصنف في ذلك تصنيفاً فانتصر التفليسي لما حكم به بجمع جزء فنقضه عليه بتصنيف آخر، صليت عليه إماماً ظاهر باب الفراديس، واتفق حينئذ عبور نائب السلطنة بدمشق وأعمالها الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري، فترجل وصلى معنا عليه، ثم مضى به إلى جبل قاسيون.

وفيها: في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي البدر المراغي الخلافي المعروف بالطويل، وكان قليل الدين، تاركاً للصلاة مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين، رحمنا الله وجميع المسلمين.

وفيها: في السادس والعشرين من جمادى الآخرة توفي صاحبنا ناصر الدين محمد بن داود بن ياقوت الصارحي، ودفن بمقبرة الباب الصغير، حضرت دفنه والصلاة عليه، وكان رجلاً صالحاً، عالماً مفيداً لطلبة الحديث باذلاً كتبه وخطه في ذلك، اشتغل بسماع الحديث كثيراً، وكتب مجلدات وأجزاء كثيرة، وطباق السماعات المكتوبة بخطه من أحسن الطباق وأنورها وأصحها رحمه الله. وفي ذلك اليوم توفي جمال الدين محمد

ابن عبد الحق بن خلف الحنبلي بجبل قاسيون، فلم أحضر جنازته لاشتغالي بجنازة ناصر الدين المذكور رحمهما الله، وكان حسن الأخلاق ظريفاً، يتولى التوريق بالجبل، وأرخ الوقائع في أيامه.

وفي ليلة الأحد سلخ جمادى الآخرة ولد ابن ابنتي حسن بن عبد الرحمن بن محمد البكري، جعله الله مباركاً.

وجاءنا الخبر من مصر في رجب بأنه شنق قاضي المقيس بها، وكان ذلك في عشية الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة وهو: الكمال خضر بن أبي بكر بن أحمد الكردي أحد أقارب قاضي سنجار وذلك لأنه تعرض لإقامة دولة باجتماعه مع جماعة من الأكراد والشهرزورية، فقبض عليه وعلق وفي رقبته تواقيع كان كتبها، وبنود من شعار الدولة التي قد رام اقامتها، وكان قبل ذلك قد صنع خاتماً وذكر أنه وجده وجعل تحت فصه ورقة أسماء جماعة من أولي الثروة بما عندهم مودع، ورام استئصال أموالهم والتقرب بها إلى ولاة الأمر فاطلع على حاله فأهين وصفع فقيل فيه:

ما وفق الكمال في أفعاله
كلا ولا صدق في أقواله
يقول من أبصره يصر
نادماً على ما كان من محاله
قد كان مكتوباً على جبينه
فقلت لا بل كان في قذاله

وسألت الحاكم شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر عن هذه القضية، فأخبرني أن هذا الكمال خضراً كان قد علق به حب التقدم عند الملوك بسبب أنه كان قد تقدم عند عز الدين أيبك التركماني، وهو الملك المعز، ثم أبعد، واتفق أنه لما صنع الخاتم المذكور وحبس كان

في الحبس شخص آخر يدعي أنه من بني العباس، وكانت الشهرزورية أرادت مبايعته بالخلافة وهيأوا الأمر لها بعده، فلما تبدد شملهم أخذ هذا وحبس، واتفق خضر معه في الحبس على أنه يسعى له في ذلك الأمر، ويكون هو وزيره فاتفق موت العباسي، فلما خرج خضر سعى في اتمام الأمر لابنه فتم ماتم.

قال: وكان من زمن الإمام الناصر أحمد قد ورد إلى إربل شخص يسمى الأمير الغريب، كان يدعي أنه ولد الناصر، ثم توفي سنة أربع عشرة وستمائة فادعى هذا الشخص أنه ابنه عند الشهرزورية، فقدموه فحبس ومات وخلف ولداً صغيراً، فسعى الكمال في المبايعة له، فجرى ماجرى، وقد خاب من افترى.

وفي ثامن رجب توفي الشرف عبد الرحمن بن صدقه، وكان من أترابي ورفقائي في تلقن القرآن العظيم عند العفيف الضرير محمود شيخ القاضي الخوئي، وفي المدرسة الأمينية أيام الجمال المصري رحمه الله، وفي ثالث عشر رجب توفي البرهان الخلخالي، وكان فقيهاً مناظراً مقبول الشهادة رحمه الله، وفي رابع عشر رجب توفي الشمس الكردي الأعرج الذي كان يصحب الأمير حسام الدين بن علي، وكان مدرساً بالكلاسة وغيرها، ودفنه حموه تقي الدين بن أبي اليسر بالجبل عند قرابته وجده رحمهم الله.

وجاء الخبر إلى دمشق بالتقاء التاتار لعنهم الله المقيمين على بلاد الموصل، بعسكر الأمير برلو من المسلمين، وجرت بينهم مقتلة عظيمة، قتل فيها من أعيان فرسان المسلمين سنجرجكم الأشرفي وابنه، وبكتوت الحراني وغيرهم.

وفيها: يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب توفي نقيب الأشراف

الطالبيين بدمشق وهو: بهاء الدين علي من بني أبي الجن، وتولى بعده النقابة الفخر بن النظام البعلبكي، وفيها: يوم الخميس خامس وعشرين رجب توفي الشيخ عبد الرحمن بن خطيب إربل الذي كان ساكناً بمنارة جامع دمشق الشرقية رحمه الله، وجاءنا الخبر من مصر بوفاة القاضي المسكين بن كامل في نصف رجب، ومن تل السلطان بحلب بوفاة عز الدين أيبك المحيوي، عتيق محيي الدين بن المدرس وزير الجزيرة، وكان شاباً ذكياً فاضلاً حسن الخط، وكان يقرأ علي في صغره، بمصر شيئاً من العربية رحمه الله، وفي هذه السنة نظر في أمر أئمة المساجد بدمشق فمنعوا من الاستنابة، ورجع على بعضهم بما كان تناوله إذ لم يقم بالوظيفة، منهم: التاج الشحرور، والجمال الموقاني، وابن بنت غانم، وابن عبد السلام وغيرهم، ونقص كثيراً من جامكياتهم المقررة، وكان المتولي لذلك والي الشرطة بدمشق وهو الإفتخار اياز، وكان شيخاً كبيراً ولي دمشق في أول هذه السنة، ومكن من النظر في المساجد فجرى ماجرى، وأمر أهل الأسواق بالصلاة، وعاقب من تخلف عنها، وكان يخدمه شخص من أبناء الحنابلة يعرف بالفخر بن الصيرفي، وله مسجد بقبة اللحم له فيه كل شهر ستون درهماً، وتركه بحاله لم ينقصه من جامكيته مع نقص غيره، فقال فيه بعض أئمة المساجد:

يا واليا متزهداً
متحنبلاً بتصلف
لم لا تساوي بالمساجد
مسجد ابن الصيرفي

فأجابه آخر على لسان الوالي لما كان متهماً بمراعاة الحنابلة فقال:

قال الأمير الحنبلي
جواب من لم ينصف
أنا مبغض للشافعي
والمالكي والحنفي

فلـــــــذاك أقصـــــــدهـــــــم
وأرعـــــى جـــــانـــــب ابـــــن الصيرفي

وفي شعبان تـوفي الحاج أبو بكر بـن بطيخ التـاجر برحبـة دمشق، وفي هذه السنة سار عسكر الشام مع مـن قدم عليهم من عسكر مصر، ونزلوا على مدينة أنطاكيـة فشعثوا منها، ثم جاءهم أمر من مصر بـالرحيل عنها فرحلوا ودخلوا دمشق في سلخ شعبان، وفي التاسع والعشرين من شعبان توفي النجم ابراهيـم بن الضياء يوسف بن خطيب بيـت الأبار، وكان من الشهود المتصرفين بديوان السبع رحمه الله.

وفي أول هذه السنة نزل التاتار لعنهم الله الذيـن كانوا هربوا من الشام مع مـن انضوى إليهـم من المفسـدين على مـدينة الموصـل فحصروها إلى شعبان؛ ثـم جاءنا الخبر بـأنهم دخلوا وفتكـوا فيها على عادتهم وملكـوها وقتلوا وأسروا صاحبها ابن لؤلؤ، وجـاءنا الخبر بأن الخلف وقع بين التاتار ببلاد العجم وموت ملكهم الأكبر، وانتصار بركة على هولاكو لعنه الله.

وفي النصف من رمضان وقع بدمشق ارجـاف عظيم من جهة التاتار، وتجهز النـاس منها للهرب الى الـديار المصريـة، وباع الأمراء حـواصلهم حتـى حـواصـل القلعـة وتهيئوا للهـرب، وألـزم ولاة الأمـر كبراء دمشـق بالرحيل بأهاليهم إلى مصر، ورسمـوا عليهم بذلك، وضيقوا عليهم بسببه، وألزموا أرباب الدواوين المتصرفين لهم بـارسال نسائهم إلى مصر وبقائهم في خدمتهـم في دمشق سواء في ذلك القـادر والعاجز، وألزمـوا جمعاً كبيراً بـذلك مـن أهل الأسـواق بالقيسـارية الفخـرية والخواصين وغيرهما مـن جماعة من صناع القواسين وغيرهم، وأطلقـوا أصحاب الفراسين وكل من كان بينـه وبين التاتار تعلـق وأخرجوهـم إلى مصر كرهاً. منهـم: القاضي التفليسي، وابـن عنتر، وقيـدوا جماعـة منهـم مثـل: ابـن اللبـودي، وابـن المسلم، وابـن الأردني، وجفل الناس مـن حمص وحماه وغيرهما إلى دمشق،

ورحل من دمشق في نصف شوال فما بعده قفل كبير إلى مصر بعد قفل وأخذ بعضهم في الطريق وجرح بعض، وكان الماء عليهم في الطريق قليلاً والحر شديداً، وبلغنا أن مثل هذا الإرجاف وقع أيضاً في بلاد العدو من التاتار، وفي بلاد الفرنج أيضاً، وفي الديار المصرية.

وفيها: توفي جمال الدين الواسطي الساكن بالعزيزية، وكان يصلي بها التراويح رحمه الله، وفي أوائل شوال قتل الشيخ اسكندر الواسطي بقرية زملكا من حرامية نزلوا عليه رحمه الله. وفي شوال أيضاً توفي حميد الأخرس ابن أبي الفتح، وتوفي فيه خميس الخفير الذي كان بمقبرة باب الفراديس. وفي سلخ شوال توفي عز الدين عبد العزيز بن الشيخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي الواعظ الحنفي، وكان قد درس مكان أبيه بعده بالمدرسة العزيزية التي فوق الميدان الكبير رحمه الله، ودفن في مقبرة أبويه بجبل قاسيون، وفي أوائل ذي القعدة توفي العفيف بن الوزار.

وفيها: في ثالث ذي القعدة وصل من مصر إلى دمشق عسكر مقدمه الأمير عز الدين الدمياطي، وبكر للدخول إلى دمشق، فخرج الناس يتلقونه وفيهم الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق، فلما وصل اليه وأهوى أن يكارشه(١٣٩) على ماجرت به عادة الملتقين قبض الدمياطي بيده الواحدة عضد طيبرس وبيده الأخرى سيفه وأنزله عن فرسه وأركبه بغلاً وشده عليه وقيده، ثم تركه بمصلى العيد، فلما دخل الليل وكل به وسيره إلى مصر، وكان القبض عليه عند ذيل عقبة شحورا، وهرب من خرج معه من أصحابه، ثم استخرجت أمواله التي تبقت بعد ماسير، منها ماكان سير مع العرب، وقبضت حواصله.

وكان طيبرس المذكور قد أهلك أهل دمشق باخراجهم من بلدهم والترسيم على الأكابر باخراج عيالهم وبأنفسهم واهانتهم، وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من

التاتـار، وكان البدوي يجلـب الجمل ويبيعـه بأضعاف قيمتـه ويشتري به الغلة رخيصـة لأن الناس بين خائف يبيع حـاصله ليتجهز بـه ومحتاج إلى الجمال لسفره، وبين من هو موكل عليه ليسـافر ولابد فهو مضطر الى كل ذلك، وبلغ كراء الجمـل بالمحارة من دمشق الى مصر نحو مـائتي درهم، والحمد لله على كشف تلك الشدة.

وفي الخامس من ذي القعـدة مات الأمير المعروف بالأصبهـاني مخموراً، وفيها يوم السبـت السابع والعشرين من ذي القعدة وصـل إلى دمشق من عسكـر التاتـار لعنهـم الله نحـو مائتين مـابين فـارس وراجـل بنسائهـم وصغارهم هـاربين الى المسلمين، وذكر أن سببه أن عسكر هـولاكو كسره عسكر ابن عمه بركة فهرب جماعـة هولاكو وتشتتوا في البلاد، فقصد كل طائفة جهة، وتـوجهت هذه الطائفة إلى بلاد الشـام ففرح المسلمون لهذا الخبر وزال عنهـم ماكـانـوا فيه مـن الغـم بسبب الأخبـار السـابقة التـي أوجبت أن جفلوا الى مصر، وأخبر بعض هؤلاء المنهـزمين أن ملك التاتار الأعظم منكـوخان توفي وقام بالملك بعده أخـوه الأصغر عري بكـو، وكان الأخ الأكبر قبلاي غائباً بالهند، فأنـف وقصد أخاه بعسكره فتقابلا ونصر الله بركـة لعري بكو، فكسروا عسكر قبـلاي، فلما سمع هولاكو عـز عليه وكره تملك عري بكو، وجمع العساكر وقصد بـركة، وسار بركة إليه ونزل في أرض الكرج، ونزل هولاكو بصحراء سلباس وخوي.

وأخبرني من أثق به عـن من يثق به أنه اجتمع ببعـض غلمان من كان في أسر التاتار مـن الأمراء، أنه أخبر بحضرة الأشرف صاحـب حمص أنه حضر كسرة بركة لهولاكو، وقال: كان جيش بـركة قد كسر عسكر هولاكو الذي سيره مـع ابنه وقتـل ابنه، فجمـع هولاكـو بقية مـن قدر عليـه من عسـاكر، وسـار إلى بركـة فلقيه بنـاحيـة شروان فقتل مـن الفريقين خلـق عظيم، ووقعـت الكسرة على عسكر هـولاكو، فبقـي السيف يعمـل فيهم

أياماً وهرب هولاكو إلى قلعة بلا(١٤٠) وهي في وسط بحيرة بأذربيجان، فدخلها وقطع الطريق إليها فبقي كالمحبوس فيها.

وفيها: في ثامن ذي الحجة توفي الأمير سيف الدين بلبان، المعروف بالزردكاش الذي كان استنابه طيبرس موضعه بدار العدل، وعلى دمشق لما سافر إلى حصار أنطاكية وكان ديناً خيراً يحب العدل والصلاح رحمه الله.

وفيها: جاء يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة جماعة من المسلمين أعرف بعضهم، معهم شيخ زعموا أنه نصراني معروف ببيع اللحم بدمشق، وأنه رأى رؤيا، وقد جاء مسلماً فأخبرني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة جاءه وكان مضطجعاً من أثر مرض، فقال له: قم وأخرج من الضلالة إلى الهدى ومر إلى أبي شامة وأسلم على يده، وأخبره أن الملك الأشرف ــ يعني صاحب حمص ـ يملك بلاد سيس، ويهلك العدو بها، وأن صاحب مصر في السنة الآتية يهدم عكا ويملكها، وتكون أنت تخدم مسجد صالح بها، ثم ارتفع صلى الله عليه وسلم إلى نحو السماء، وهو في صورة لاأقدر أصفها ولا أشبهها بالقمر ولا الشمس هي أكمل من ذلك وأتم، فقلت إلى أين يارسول الله؟ قال: أسأل ربي في الناس نصرهم على الكفرة، أوكما قال.

قال: فانتبهت وبقيت في حيرة من أمري، فلما كان ليلة السبت رأيت مثل ذلك المنام، ثم ليلة الأحد كذلك ثلاث ليال متوالية، ثم صممت على الدخول في الاسلام، فسألت عن من يقال له أبو شامة من المشايخ فدلوني عليك، فأمرته بالاسلام فأسلم، والحمد لله رب العالمين.

وفيها: توفي البدر أحمد بن شرف الدين عمر بن السابق بأرض نابلس رحمه الله، وفي أواخر ذي الحجة توفي العز التاجر المعروف بابن مشرف، ويلقب بابن الجرذان، ووجد النظام قيس بن العربيني مقتولاً بالصالحية، وكان هذا المذكور ذكر عنه أنه قتل زوجة له وغيرها، وهو: أبو سعيد

قيس بـن عثمان بن عمرو بـن كامل بـن هبة بن علي الانصـاري ،وعربين قرية بغوطة دمشق.

وقدم إلى دمشق والياً عليها من جهة مصر الأمير جمال الـدين أقوش، المعروف بالنجيبي، ورحل علاء الديـن التركي إلى مصر، وتولى عز الـدين ابـن وداعة الـوزارة على الـدواوين ومـايتعلق بها، وتـولى نظـر الدواويـن شمس الدين بن علان، وانعزل عنه شرف الدين بن الوزان.

وتحرك سعـر الغلة في أواخـر هذه السنـة، وطـابت الأخبـار من جهـة التاتار، والحمد لله.

ثم دخلت

سنة احدى وستين وستمائة

وسلطان الديار المصرية والشامية الملك الظاهر بيبرس الصالحي، المعروف بالبندقداري، ولاخليفة للناس يذكر بل السكة تضرب باسم المستنصر بالله على ماكان الأمر عليه، والنائب بدمشق عن السلطنة جمال الدين أقوش النجيبي، وقاضيها شمس الدين ابن خلكان.

وفي خامس المحرم توفي الزين بن أبي طالب الفراش صهر المجد بن سني الدولة، وكان يتولى الدواوين مع الأمراء وغيرهم.

وفيها: يوم الجمعة سادس عشر المحرم خطب بجامع دمشق وسائر الجوامع للخليفة الحاكم أبي العباس أحمد بن الحسين بن الحسن من أولاد المسترشد، بتوقيع القاهرة ومصر في ثامن المحرم من السنة التي كان سافر الى مصر.

وفيها: جاءنا الخبر بأن صاحب مصر بايع له، وأمر بالخطبة له في البلاد.

وفي ليلة الأحد ثالث صفر سمر شاب، ذكر أنه كان يرسل زوجته وتدخل في بيوت النساء، فتحسن للمرأة الخروج معها لابسة أفخر ثيابها وحليها وتشوقها بأن تقول لها هاهنا عرس أو وليمة، وقد اجتمع فيه جماعة من النساء الأكابر فلا تتركن من الزينة شيئاً ليحصل لك التجمل بينهن، فتفعل تلك المغرورة، أقصى ماتقدر عليه، وتخرج معها فتجيء بها إلى بيت زوجها، فيأخذ جميع ماعليها، ثم يخنقها ويرميها في بئر في داره فعل ذلك بجماعة من النساء، وهو نظير مافعله شخص يعرف بالمكحلة في سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمر وبقي أياماً ومات، ثم

هتكه الله تعالى فأخذ هو وامرأته فضربا فاعترفا، فأما المرأة فخنقت وجعلت في جوالق وعلق الجوالق تحت الخشب الذي سمر عليها، فأصبح الناس يوم الأحد فوجدواالجوالق المعلق والرجل المسمر خارج باب الفرج على يسار الخارج من الباب، وكان الزمان في سابع عشر كانون الأول، وسمر وهو في ثوب واحد خلق مكشوف الرأس فبقي ليلتين ويوماً، وفي اليوم الثاني خنق بطرف الحبل وربط في الخشبة التي سمر عليها، وكان أبوه حياً وهو رجل حسن يعرف بعلي الصانع، له ثروة وقدر بين الناس وجده أيضاً حي، وتوفي ذلك اليوم نصر الفراش بالتربة العادلية سقط من سطح فمات، رحمه الله. وفي العشرين من صفر توفي أبو الحزم العطار بباب البريد، وهو ابن البدر بن مسلم العطار باللبادين.

تمام حوادث سنة احدى وستين وستمائة

فيها نظمت قصيدة في شرح الحال، وكنت قد اشتغلت بزراعة ملك لي وعمارته، فانقطعت عن المدرسة فعوتبت فقلت:

أيها العاذل الذي إن تحري
قال خيراً ونال بالنصح أجرا
لاتلمني على الفلاحة واعلم
انها من أحل كسب وأثرى
كيف لا ألزم الفلاحة باقي
عمري لازال حصداً وبذرا
وبها صنت ماء وجهي عن الناس
جميعاً وعشت في القوم حرا
اذ بها صار منزلي ذا غلال
مع عيال من بعد ما كان قفرا
مشبع الأهل والأقارب والألـ
ـزام منها فليس يشكون فقرا
ولكم واقف ببابي يعطى
صدقات من الغل وبرا
كم فقير وكم يتيم وكم
أرملة نال من نصيبي وفرا
وكذا الطير والبهائم ترعى
من زروع ومن ثمار تترى
كل ذا فيه الأجر جاء
أحاديث بهذا الذي الأئمة تقرا
اتخذ حرفة تعيش بها
ياطالب العلم ان العلم ذكرا
لاتهنه بالاتكال على الوقـ
ـف فيمضي الزمان ذلاً وعسرا

انما تحصل الوقوف لشريـ
ـرو نذل من العلوم مبرا
أو لمن يلزم الأكابر لا يبـ
ـبرح في خدمة لهم ومدح وإطرا
طالباً جاههم مجيباً الى كـ
ـل أمور لهم عكوفاً مصرا
فترى قاضي القضاة ومن يذ
كر درساً يرعاه سراً وجهرا
قاصداً قربه فيصغي إليه
فاعلاً ما يريد نفعاً وضرا
والضعيف المشغول بالعلم يلقى
من ولاة الوقت هجراً وهجرا

وهو المستحق لو أبصروا الحـ
ـق ولكن عموا فيا رب غفرا
إنما كانت المدارس عوناً
لأولي العلم حسب في الناس طرا

درست في زماننا إذ تولا
ها أولوا الجهل والحماقة قهرا
قربوا شبههم وأقصوا وآذوا
حامل العلم أسكنوه قبرا
وتراهم لا يحزنون لهذا
إنهم في الضلال والغي سكرا
يا له منصباً تداوله من
ليس أهلاً له دهاء ومكرا
جعلوا موضع المفقه والمر
شد من لا يدري وفي الشر يدرى
وأولوا الأمر المالكون يظنو
ن صواباً فيهم وخيراً وطهرا

فـــاذا مـــارأوهـــم هكـــذا كـــا
ن لهم فعلهـــم على الظـــالم إغـــرا
ويظنـــون كـــل صـــاحـــب علـــم
هكـــذا فعلـــه فيجعـــل جسرا
فعليـــك المعـــاش يـــا طـــالـــب العلـــم
ولا تترك المعيشـــــــــــة كبرا
واقتنـــع بـــالـــذي تسهـــل واشكـــر
تجد الـــرزق فـــاض فيضـــاً ودرا
واتـــرك الـــوقـــف اذ جـــرت صـــورة الامـــ
ركـــذا بينهـــم فبئـــس المجـــرا
اجتنـــب فعلهـــم تـــوكـــل على الحـ
ـــي الـــذي لا يمـــوت واســـألـــه سترا

كـــن أبيـــاً لما يشين أمـــا تـــأ
نـــف مـــن أن يكـــون عيشـــك يـــزرى
اذ يقـــال الأوقـــاف أوســـاخ الأمـــوا
ل كـــوقـــف الـــزمنـــى ووقـــف الاضرا
والمســـاكين واليتـــامـــى فكـــل
صـــدقـــات منهـــا اللبيـــب تبرا
لا يـــرى أنـــه يشـــارك ذي الأصـــ
ـــناف فيهـــا يعيـــش عيشـــاً مـــرا
فجفـــاهـــا مـــع أنـــه مستحـــق الـــ
ـــوقف مـــا يستغـــل منـــه ويكـــرى
فـــدع العجـــز يـــا أبي اذا أنـــ
ـــصفت في الفكـــر لم تجد لـــك عـــذرا
لا تـــزاحـــم ولا تكـــاثـــر بما تـــأخـــذ
منـــه فقـــد عـــرفـــت الأمـــرا
وان احتجـــت خـــذ كفـــافـــاً يكـــره
وبعـــزم أن لا يـــدوم العمـــرا

كان من قبلنا أئمة هذا الد
ين والوقف بعد ذاك استقرا
لم يكن ذاك مانعاً طالب العلم
من العلم فاقف ذاك الاثرا
معطياً كن ودع من الوقف أخذا
إن يد الإعطاء أعلى وأرفع قدرا
صدقات الوقوف ينفر منها
كل حر تأتيه صفواً ويسرا
كيف حال الذي يذل لها
بالقول والفعل كي يحصل نزرا
دائباً في التردد آت صفيق الـ
ـوجه عند اللقاء شيئاً أمرا
ذاهب العمر في النفاق وفي الـ
ـخدمة لا يألى ذهاباً ومرا
بائعاً دينه بدنيا غيره
لقد خاب بائع الدين خسرا

لاحياء له يطلب ماليس
حق له لقد جاء نكرا
فلهذا اعتزلت يارب تمم
ما به قد منيت إنك أدرى
ثم لو لم يكن تصدق بالوق
ف لقد كان البعد عنه أحرى
حين قد صار الأخذ منه يسمى
منصباً فيهم يباع ويشرى
فتعاطاه صاحب المال والجاه
فزال المقصود منه وضرا
وأقاموه في المواريث حتى
أخذوه إرثاً صغاراً وكبرا

وغـــدا المستحـــق حيران نـــدمـــا
ن مـــن الغبـــن ينظـــر العيـــش شـــزرا
ثبـــت الله بعضهـــم بغنـــى النفـــ
ـس فلـــم يكترث وقـــد عـــاش دهـــرا
حـــب هـــذه الـــدنيـــا أصـــم وأعمـــى
أخـــذ الـــوقـــف أغنيـــاء وأغـــرى
وأولـــوا اللـــب والعقـــول يـــرون الـــ
ـأخـــذ منـــه مـــع الغنـــى عين إزرا
والفقير الحريـــص منهـــم مكـــد
وكـــذا مـــن يســـالها مـــع الإثـــرا
غير أن الفقير يعـــذر فيهـــا
والغنـــي الغبـــي يـــرمـــى ويـــذرى
عجبـــاً مـــن مـــدرسين قضـــاة
يتبـــارون في اللبـــاس بطـــرا
وهـــم في نفـــوسهـــم في عظيـــم
يـــركبـــون البغـــال عـــزاً وزهـــرا
حـــق كـــل منهـــم يكـــون حـــزينـــاً
إن أجـــادا المعنـــى وأحســـن فكـــرا
أبـــداذا يعيـــش بصـــدقـــات الـــ
ـــناس بـــاســـم الـــوقـــف لا يتبرا
وعليـــه مـــن الشروط تكـــاليـــف
فـــإن لم يقـــم بها فهـــو أدرى
كـــم رأينـــا مـــدرســـاً ومـــولى
حقـــه أن يكـــون منـــه معـــرا
ضحكـــة للـــورى المدرس والحا
كـــم تلقـــى وليـــس يحســـن يقـــرا
يـــا لها وصمـــة على أهـــل ذا الـــ
ـــعصر يكفيـــك مـــا رأيتـــاه خبرا

إن منهم من كان يلثغ بالقاف
ومنهم من كان يلثغ بالرا
وهما من أماثل القوم فاعجب
واعتبر وانشر الغرائب نشرا
والذي ألبس القباء ذا الكبر
بة والظالم المردي المهرا
والذي كاتب التاتار ومن
سار اليهم قصداً فأثنى وأطرا
والذي قد أتى الفواحش واستكبر
فاسأل ماذا جرى إذا تجرى
والذي ميله إلي نظم دو
بيت وتقريب من يذاكر شعرا
وله في أكل الحشيشة رأي
وافق الفرع فيه ليلا وفجرا

ولديه أبو الفوارس مهتز
بما رمى الشباب عجبا وسكرا
فتولى المناصب والأشياخ قد
عطلوا فيشكون صغرا
ورعاة العدل الرضى حاضراً
مجلس الاثبات شاهداً مستمرا
قائلاً ذا أثنى عليه بنو علـ
ان والأقربون أولاد صصرا
قيل لا تعتمد عليهم لهم أغـ
راض سوء زوراً وبهتا ووزرا
عد واسأل سواهم تعرف الحـ
ق فاذ أعذرتني نلت إصرا
أنت في حق غيره واقف إن
كنت بالشام أو تفارق مصرا

عجباً مانراك به توقف
لقد بث أمره منك سرا
كلما قلت دولة الحاكم الجابر
زالت قامت علينا أخرى
وتصدوا لأكل الأوقاف حتى
ذمهم عارفوه نظماً ونثرا
فلذا صارت المعيشة أولى
بأولي العلم والصلاح وأحرى
ولقد كنت قبلها من غنى النفس
مليئاً فالحمد لله شكرا
بيد أني أنفت من صدقات
الفقه شبهتها بوقف الأسرى
وتأنفت من مزاحمة النذ
ل عليها يرى الوقاحة فخرا

فتمنيت مذ زمان أرى
رزقي عنها بمعزل فاستدرا
بارك الله في المعاش كما
شاء له الحمد إذ بدا واستمرا
فأنا اليوم أنزه القوم نفساً
بخلاصي منهم وأروح سرا
حسدتني جماعة قال منهم
قائل ذا ومن أين أثرى
ويحهم ربنا هو الرزاق
يعطي قلاً ويعطي كثرا
عنده الملتقى فيا خجلة الـ
ـمغتاب والمفتري الذي هو أجرى
مايبالي ماذا يقول سيجزى
في غد حين يحشر الناس حشرا

ولئن قلت الأصل كان من الو
قوف فما ضر ذا ولا بي أزرى
سببا كان إنما اتجه اللوم
على من على الوقوف أصرى
كسلا غير عاجز عن معاش
فهو كل على الورى ليس يبرى
صانني الله عن مزاحمة
القوم على منصب فيا رب صبرا
يا رب سلم فيما تبقى ولا تحوج
إلى من يسنعبد الناس قسرا
فتراهم لأجل حاجتهم بين
يديه في قضية الذل اسرا
أقرب الناس عنده ذو نفاق
حين يسقيه من محال الاطرا
من يخالف يقصى ومن وافق
القوم يكن مثلهم فحسبك شرا
جملة الأمر ذا فكم قد سررنا
وشرحنا بما ذكرناه صدرا
كل من كان منصفاً عرف الحـ
ـق فقد شاع الأمر براً وبحرا
عد أبياتها هنيدة عمرة
باعداداها وطولت عمرا
وأرى أنها ستزاد عشرا
في أمور جرت وعشرا وعشرا

وفي أول صفر من سنة احدى وستين وستمائة توفي بديار مصر شرف الدين محمد بن أحمد بن عنتر الدمشقي الذي كان محتسباً بدمشق في أيام التاتار، وهو وأبوه من أولي الثروة بدمشق، ومن المعدلين فيها، رحمه الله. وفي ثاني ربيع الآخر توفي البرهان الطويل المتصرف في الدواوين، كان

عاملاً بديوان الجامع تارة، وبالحشرية أخرى، وبديوان المدارس المحدث في الأيام المعظمية، وبعدها رحمه الله.وفي الرابع والعشرين منه توفي النجم الكحال بن الصفي العبادي فجأة. كان أبوه مقرئاً حسناً ضريراً، وتعلم هو وأخوه قبله صناعة الكحالة فبرعا فيها، وتوفي أخوه قديماً فبقي هو كحالاً باللبادين، ثم بالبيمارستان، وفي رابع جمادى الأولى توفي عبد العزيز المغربي إمام مسجد الجورة بالعقيبةرحمه الله. وفي الرابع والعشرين منه توفي العدل جمال الدين بن القلانسي بن أخي المؤيد رحمه الله، وقبله توفي الجمال الأنباري ــ الساكن بالجامع بالمنارة الغربية ـ الحنبلي له سماعات كثيرة من عبد القادر الرهاوي وغيره، وهو الذي كان يصلي بالمتأخرين صلاة الصبح بالجامع فيطيل بهم اطالة مفرطة خارجة عن المعتاد بكثير إلى أن تكاد تطلع الشمس، وهو في تطويله لايتركه كل يوم، رحمه الله. وفي سابع رجب توفي العالم المغربي النحوي، وكان معمراً، مشتغلاً بأنواع العلوم على خلل في ذهنه، واسمه: أبو محمد القاسم بن أحمد بن السداد اللورقي، هكذا رأيت نسبه بخط مشايخه الذين قرأ عليهم بالمغرب ابن الحصار وغيره، وكان هو لايكتب ابن أبي السداد، ويجعل مكانه الموفق، وكأن أبا السداد كنيته الموفق، ولورقة بليدة من أعمال مرسية، ودفن من الغد في مقابر باب توما قريباً من قبر الشيخ رسلان رحمه الله.

وفي سادس عشر رجب توفي العماد مظفر بن البهاء علي بن الحسن من بني سني الدولة، وهو ابن عم الصدر أحمد بن يحيى القاضي، وكان من عدوله رحمه الله، وفي السابع والعشرين من رجب توفي الشهاب ابن الضياء الكاتب للشروط بباب الجامع الشرقي، ويعرف بأجير البهاء، لأنه كان تخرج في كتابة الشروط بالشريف بهاء الدين عبد القادر بن عقيل العباسي كاتب الحكم للزكي الطاهر، وبعده إلى أن مات، وكان فريد وقته في ذلك، فبرع هذا الأجير حتى كان الفقيه عز الدين بن عبد

السلام يفضله على كتّاب عصره فنفقت سوقه رحمه الله. وفي ثالث عشر شعبان توفي الشيخ الياس الإربلي الذي كان يكون مقيماً بالجامع في رواق الحنابلة، ثم سكن جبل قاسيون وبه توفي ودفن رحمه الله. وفي تاسع عشرين شعبان توفي الأمير مجير الدين خوشترين الكردي، وكان من أمراء مصر، وحضر كسرة التاتار لعنهم الله بعين جالوت مع المظفر قطز رحمه الله، وغزا يومئذ حتى فتح الله على المسلمين، ودفن بالجبل، وأبوه مات محبوساً مع عماد الدين بن المشطوب في بلاد الأشرف الشرقية، وفي خامس عشر رمضان توفي العفيف الحنفي زوج الذهبية بنت الدميري جارتنا، رحمه الله، وتزوجت بعده علاء الدين أحمد بن القاضي محيي الدين بن الزكي.

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان ولد لي مولود ذكر سميته محمود، وكنيته أبا القاسم بكنية نور الدين بن زنكي الملك العادل رحمه الله وباسمه ولقبه، جعله الله مباركاً صالحاً عفيفاً تقياً، كما كان سميه رحمه الله، وكانت ولادته في الساعة السادسة من يوم السبت السابع والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمائة بدار العطافية غربي المدرسة العادلية، وذلك اليوم كان في شهر آب نحو أربعة أيام، وهو زمان البطيخ الأصفر.

وكسفت الشمس في غد ذلك اليوم بعد العصر من يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان.

وفي خامس شوال توفي الفخر أحمد بن ابراهيم الحنفي أحد مدرسي الحنفية من الشيوخ، وكان أحد الشهود تحت الساعات، ودفن من الغد رحمه الله، وفي سابع شوال توفي الشرف يحيى بن المغربي الحاج الدقاق في الحنطة خال أخي محمد رحمه الله، مات فجأة، وكان قد عزم على وقف أملاكه على زاوية المغاربة ففاجأه الموت بغتة، ومن العجائب أن بعض

معارفه مات قبله فجأة فجاءني وقال: أريد تعجيل وقفي للملكي خوفاً من أن أموت كما مات فلان، ثم أخر، فمات فجأة كما ظنه، وبالله التوفيق، وفي سادس عشر شوال نظمت هذه الأبيات:

أيا لائمي مالي سوى البيت موضع
أرى فيه عزاً أنه لي أنفع

فراشي ونطعي فروتي فرجيتي
لحافي وأكلي ما يسد ويشبع

ومركوبي الآن الأتان ونجلها
لأخلاق أهل الدين والعلم اتبع

وقد يسر الله الكريم بفضله
غنى النفس مع شيء به أتقنع

أوفره للأهل خوفاً يراهم
عدو بعيش ضيق فيشنع

واصبر في نفسي على ما ينوبني
وأطلب عفو الله فالعفو أوسع

ومادمت أرضى باليسير فانني
غني لغير الله ماكنت أخضع

وربي قد آتاني الصبر والغنى
عن الناس في هذا إلى العز أجمع

وقد مر من عمري ثلاث أعدها
وستون في روض من اللطف أرتع

ووجهي مصون ذل التبذل مقتر
مقل ومن عز القناعة موسع

ومن حسن حظي أن ذا يستمر لي
إلى الموت إن الله يعطي ويمنع

وإني لا ألجأ إلى غير بابه
فأبقى كما قد قيل والقول يسمع

«نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع»

فطـــوبـــى لعبـــد آثـــر الله ربـــه
وجـــاد بـــدنيـــاه لمايتـــوقـــع

وفي ذي القعدة توفي الشيخ الصالح صلاح الدين أبو زيد الدينوري، صاحب الشيخ عز الدين الدينوري، وهو الذي بنى له زاوية بسفح جبل قاسيون غربي الجامع المظفري، وصار لجماعة يذكرون الله عقيب صلاة الصبح بأصوات حسنة، ثم مات عز الدين وبقي الشيخ الصلاح يقوم بهذه الوظيفة، بت عنده ليلة في الزاوية المذكورة رحمه الله، وكنت قد نظمت قبل ذلك أبياتاً في هذا المعنى وهي:

صـــان ربي عـــن التبـــذل علمـــي
فلـــه الحمـــد بكـــرة وأصيـــلا

لم يشـــن بـــالسـؤال وجهـي بـــل
بـــارك فيما أعطـــى فكـــان جـــزيـــلا

وغنـــى النفـــس والقنـــاعـــة كنـــ
ـــز إن فكـــانـــا لما ذكـــرت دليـــلا

كـــم رأينـــا مـــن عـــالم عـــز بـــالعلـــم
وأضحـــى بـــالحرص منـــه ذليـــلا

احفـــظ الله وابـــذل الفضـــل
تغنـــم مـــن غنـــى النفـــس عـــزة وقبـــولا

وتعـــرف إليـــه يعـــرفـــك في الشـــدة
فـــاتبـــع فيما يقـــول الـــرســـولا

يفعـــل الله مـــا يشـــاء فـــلا تسخـــط
وكـــن راضيـــاً زمنـــاً قليـــلا

كـــل مـــا قضـــاه خير لمن
آمـــن فـــاصبر عليـــه صبراً جميـــلا

وعـــد الصـــابـــريـــن خيراً فـــأيقـــن
أنـــه كـــان وعـــده مفعـــولا

وفيها: في ثاني عشرين ذي الحجة توفي العز بن النشو، الشاهد تحت

الساعات، وفي الغد الثالث والعشرين توفي الشهاب تمام بن الحبوبي التاجر بالخواصين رحمهما الله، وجاءنا الخبر من ديار مصر بأنه مات في هذه السنة بهاء الدين الضرير صهر الشيخ الشاطبي رحمهما الله، وشرف الدين بن السيبي يحيى بن فضل الله إمام المدرسة الصالحية رحمه الله، وكان من أصحاب شيخنا أبي الحسن السخاوي رحمه الله بدمشق، وهو أول من أم بدار الحديث الأشرفية في زماننا، ثم انتقل إلى القاهرة فأقام بالمدرسة الصالحية النجمية، وكان عنده تعصب وكرم وله قراءة حسنة.

obeikandl.com

ثم دخلت

سنة اثنتين وستين وستمائة

ففي سابع المحرم توفي التقي أبو بكر البغدادي المقرىء الساكن بالمدرسة العادلية رحمه الله.

وفي تاسع عشر توفي الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي، من غلمان العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين، وكان له أثر مذكور في كسرة التاتار خذلهم الله تعالى على أرض حمص المقدم ذكرها. وفي عاشر صفر توفي بحمص الملك الأشرف بن المنصور بن المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادي، وهم ملوك حمص وأعمالها كابراً عن كابر رحمه الله، وكان شاباً عفيفاً عما يقع فيه غيره من الشراب، وله في كسرة التاتار الثانية على حمص أثر جليل.

وقبله بقليل توفي الزين خضر المعروف بالمسخرة ، كان من ندماء الأشرف موسى بن العادل، وجاءنا الخبر بوفاة الكمال عريف الصاغة، والضياء النابلسي بمصر.

وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على قول الأكثرين، فاتفق في هذه السنة أن كانت ليلة الثاني عشر من ربيع الأول هي ليلة الاثنين.

وفي ذلك اليوم توفي النجم أحد القرائين بزي الجنائز، وكان يؤذن بالمئذنة الغربية من جامع دمشق، وهو شيخ كبير رحمه الله. وفي يوم الجمعة سابع ربيع الآخر صلي بالجامع عقيب صلاة الجمعة صلاة الميت الغائب بالنية على ضياء الدين علي بن حمد المعروف بابن الباسلي أحد كتاب الحكم المعدلين تحت الساعات، وكان له أشغال باستماع الحديث

وكتابته، ثم سافر إلى مصر متحملاً لشهادة فتوفي بها، رحمه الله تعالى ليلة السبت رابع صفر، ودفن خارج باب النصر شرقي القاهرة.

وفي هذه الأشهر توفي بصرخد سيف الدين التروسي، الذي ملكه بقرية بقربه رحمه الله. وكان شاباً حسناً شجاعاً، وفي حادي عشر ربيع الآخر توفي الشريف ابن الطيوري، الملقب بالجمال الذي كان نقيب القاضي الخوئي، وفي ثاني جمادى الأولى توفي بمصر الرشيد العطار المحدث رحمه الله، وفي عاشر جمادى الأولى توفي الحاج نصر بن بردس التاجر بقيسارية الفرش، وكان رجلاً موسراً ملازماً للصلاة بالجامع من أهل الخير رحمه الله ودفن بالجبل، وفي ثالث عشر جمادى الأولى توفيت الشيخة الصالحة عابدة المقيمة برباط زهرا خاتون، وكانت امرأة عذراء مقعدة عمياء مشهورة بالخير والصلاح، رحمها الله. وفي خامس عشر توفي الحاج محمد بن الحاج مسعود الذهبي رحمه الله.

وفيها: بعد صلاة الصبح من يوم الأحد التاسع والعشرين من جمادى الأولى توفي القاضي الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستاني، رحمه الله، وكان من أهل بيت قضاء، وعلم، وصلاح، تولى قاضي القضاة في الأيام الأشرفية، وناب في القضاء عن أبيه في الأيام العادلية، وعن شمس الدين أحمد بن الخليل الخوئي عام حجه، ثم تولى الخطابة بجامع دمشق، وتدريس الزاوية الغربية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، واستمر ذلك له من الأيام الصالحية النجمية وقبلها إلى أن توفي بدار الخطابة، ودفن في مقابر الجبل قريباً من أبيه وأهله، وصلى عليه بجامع دمشق قاضي القضاة بدمشق ابن خلكان، وصليت أنا عليه إماماً ظاهر البلد تحت القلعة خارج باب الفرج، وكان يوماً مشهوداً حضر جنازته خلق كثير، وانتشروا في تلك الصحراء الواسعة رحمه الله.

وتوليت مكانه بدار الحديث الأشرفية، وحضر عندي فيها أول يوم ذكرت الدرس فيها قاضي القضاة وأعيان البلد من المدرسين والمحدثين وغيرهم. وذكرت من أول تصنيفي في كتاب «المبعث» الخطبة والحديث، والكلام على سنده وفنه مع زيادات على ذلك من مكان آخر، وكان بحمد الله تعالى وجوله وقوته مجلساً جليلاً، عليه سكون وإخبات وجلالة وانصات من الحاضرين، ووقار من المستمعين، وعمل في ذلك بعض الأدباء أبياتاً منها:

العلم والمعلوم قد أدركته
وسماعك البحر المحيط فحدث
وبعثت في دار الحديث بمعجز
وأبان له عنك افتتاح المبعث
مكثت به الألباب طائعة الندا
والحسن من طرب به لم يمكث

وفي رجب توفي نور الدولة بن دحيرجان المنادي على الأشياء الضائعة، وكان قصيراً ظريفاً هو وأبوه من قبله، ودارهم بالمطرزين خارج حصن جيرون معروفة بهم رحمه الله، وفي ثاني عشر رجب توفي العفيف بن أبي الفوارس، وكان شاباً حسناً تولى عمالة الجامع، وعمالة مخزن الإمام جمعا له لحذقه بهذه الصناعة كما قيل رحمه الله، ودفن بالتربة التي أنشأها والده جوار الخانقاه الشبلية بسفح جبل قاسيون، وكان أبوه قد أعد القبر لنفسه فدفنه فيه وهو المذكور في قصيدة الفلاحة الرائية. وقبله بيوم في حادي عشر رجب توفي الأثير عبد الكريم بن ضياء الدين الحسين بن القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي رحمه الله بقرية البلاط(١٤١)، ملك جده وأهله، وحمل منها فدفن بجبل قاسيون وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بجامع العقيبة المعروف بجامع التوبة، وهو أصغر أولاد الضياء، وهم أربعة عريون عن الفضل خلاف ماكان عليه سلفهم، ثم توفي أخوه صدر الدين عبد الله في سلخ ذي القعدة من سنة اثنتين وستين وستمائة.

وفي الخامس والعشرين من رجب توفي الحكيم شمس الدين المعروف بطراز الشام الطبيب رحمه الله، وفي حادي عشر شعبان توفي الزين يحيى ابن بكران الجزري أحد المعدلين بدمشق، وكان قبل ذلك تاجراً وتولى ديوان الحشر وغيره، وكان طلق المحيا، ظريف الحركات ودوداً رحمه الله، ودفن بباب الصغير وعمه هو المعلم الجزري، وكان شيخاً يسكن برأس درب التمارين في الصف الشامي من سوق العطارين الذي يلي قنطرة الحبالين، وكان يعلق الرماح وغيرها من آلات الحرب بغرفه فوق رأس الدرب المذكور ،وكان إذا قدمت العساكر مع السلطان في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ومن بعده، أو قدمت الرسل من بغداد يتلقاهم مع الناس فوق رأسه مصحف كريم في كيسه يحمله وهو راكب ،ومات سنة (١٤٢) وفي العشرين من شعبان توفي المحيي بن سراقة، مغربي؛ عالم، دين، متواضع، كريم، حسن المحاضرة، كان نزل بحلب ثم عبر علينا بدمشق إلى مصر فتولى دار الحديث الكاملية بالقاهرة مع الزكي عبد العظيم، وماتا رحمهما الله بعد ابن دحية.

وفيها: في التاسع والعشرين من شعبان توفي تاج الدين أيوب بن فخر الدين محمود بن عبد اللطيف ابن سيما، وكان أحد الشيوخ المعدلين بدمشق من أهل البيوتات بها، وأبوه كان محتسب دمشق مدة، ودفن على والده بالجبل، وكان موته ببستانة عند طاحونة مقرى رحمه الله. وفي ثاني شهر رمضان توفي بقرية كفر بطنا الشرف النميري المقيم بتربة قاضي كفر بطنا، وكان يلقب نفسه زعيم غير، كان يكون عندنا بالمدرسة الأمينية ثم بالمدرسة الحسامية، وكان ينظم الشعر على طريقة المغرب رحمه الله، وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق بالناس عقيب صلاة الجمعة الجنازة على الشيخ محمد المعروف بالقباري شيخ مشهور بالزهد والورع بالاسكندرية، كان يكون في غيط له وهو البستان، وهو فلاحه يخدمه بنفسه ويأكل من ثماره وزرعه ويتورع في تحصيل بذره حتى

بلغني أنه كان إذا رأى ثمرة ساقطة فيه تحت أشجاره ولايشاهد سقوطها من شجره يتورع من أكلها خوفاً من أن تكون من شجر غيره قد حملها طائر فسقطت منه في غيطه رحمه الله، كنت اجتمعت به في آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة مع جماعة صادفناه وهو يسقي في جرار ماء من الخليج على حمار له يسقي به غيطه، وكان الماء في الخليج حينئذ قليلاً فأجلسنا إلى أن تم عمله، ثم قدم لنا من ثمر غيطه وكذا كانت عادته مع كل من يزوره من الملوك وغيرهم. وأخبرني القاضي عبد المجيد بن الخليل أن موته كان في سادس شعبان، وأن الأثاث المخلف عنه لو كان لغيره قيمته نحو خمسين درهماً فبيع بنحو عشرين ألف درهم، تزايد الناس فيه رجاء البركة حتى في الابريق الذي كان يتوضؤ فيه.

وفي يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق عقيب صلاة الجمعة صلاة الجنازة على الشيخ شرف الدين عبد العزيز ابن شيخ الشيوخ بحماة، مات بها رحمه الله، وكان شيخاً فاضلاً حسن الصورة والمحاضرة، وله نظم حسن في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وغيره. وقرأ على الشيخ أبي اليمن الكندي، وسمع عليه وعلى ابن كليب، سمع عليه جزء ابن عرفة مراراً، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة رحمه الله، وفي الثامن والعشرين من شهر رمضان توفي محيي الدين عبد الله بن صفي الدين ابراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية، رحمه الله، وفي ثالث شوال توفي النظام النصيبي، وكان من أهل القرآن والفقه ومن المعدلين بدمشق، وهو ابن أخت الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة رحمه الله.

وفي أواخر رمضان ظهر في الشرق كوكب ذو ذنب في الأفق نحو الغرب في منزلة الهنعة، وكان الفجر يومئذ يطلع في الذراع والنثرة، وبقي يطلع كل يوم قبل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب الصبح، ثم

صار يتقدم كل يوم قليلاً إلى أن صار يبدو مرتفعاً عن كوكب الصبح، وبقي ضوء ذنبه ظاهراً ولم يتغير موضعه من منزلة الهنعة بعده منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل، ويبقى ظاهراً، ثم يرتفع بارتفاعها، ويسري لسيرها، ثم يقرب من منزلة الهنعة، ثم بقي في أوائل ذي القعدة إلى أن يغلب عليه ضوء الصباح فيغيب. وكان يظهر له قبل بروزه شعاع كثير في جو السماء، وظهر أيضاً من قبل المغرب بشمال بعد العشاء الآخرة من ليال عدة في أواخر رمضان وأوائل شوال خطوط مضيئة كهيئة الأصابع مرتفعة في جو السماء، وأحمرت الشمس في آخر الرابع من شوال قريب مغيبها، وذهب ضوءها بحيث توهم كثير من الناس أنها كسفت، وغربت وهي كذلك، ولما كان عند العشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس من شوال بحيث توهم أنه كسف.

وجاءنا الخبر من مصر بموت العز السركسي رحمه الله، والفخر المصري في يوم واحد، وتوفي في الحادي والعشرين من شوال الشمس النابلسي جابي المدرسة الحسامية والشامية، وجاءنا الخبر من حلب بموت قاضيها كمال الدين أحمد بن القاضي زين الدين بن الأستاذ، وكان تولى قضاءها بعد أبيه فبقي على ذلك إلى أن أخذ التاتار حلب، فنكب مع من نكب، وجاء بأهله إلى دمشق، وخرج إلى مصر فبقي فيها إلى هذه السنة، فرجع إلى حلب فتوفي بها رحمه الله في خامس عشر شوال، وكان فاضلاً وابن فاضل، وجده من الصالحين، وجمع كتاباً في شرح الوسيط كان تعب فيه أبوه من قبل.

وجاءنا الخبر أنه وصل إلى ديار مصر رسل الملك بركة يوم الأحد سادس ذي القعدة، ومعهم الأشرف بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميافارقين بما يسر الإسلام وأهله.

وفي رابع عشر ذي القعدة توفي بدمشق الشيخ أبو الخير صاحب

الشيخ طي رحمه الله. والشيخ شعيب الساكن بالجبل معرفة بني سني الدولة رحمه الله. وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الفخر المصري عثمان المعروف بعين عين، رحمنا الله واياه، ثم توفي بدمشق الجمال بن بدر بن نحلة. وفي السابع والعشرين من ذي القعدة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي البكري المراكشي، والد علي وعبد الرحمن جد حسن رحمه الله، ودفن بالصوفية، وجاءنا الخبر بوفاة جمال الدين هلال بن حجاج وكان ينوب في الحكم مدة سنين بالأعمال الحلبية وغيرها رحمه الله. وفي يوم السبت ثالث ذي الحجة توفي من أهل دار الحديث الأشرفية شيخان أحدهما: جمال الدين يوسف بن يعقوب الإربلي الذهبي ابن أخي العز الإربلي وكان له سماعات كثيرة من حنبل، وابن طبرزد، والكندي، والقاضي الحرستاني وغيرهم: والأخير جمال الدين الغماري المالكي رحمهما الله. وفي ثامن عشر ذي الحجة توفي الشمس الوتار الموصلي، وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب، وخطب بجامع المزة مدة رحمه الله، وأنشدني لنفسه في الشيب وخضابه:

وكنت وإياها مذ اختط عارضي
كزوجين في جسم وما انقضت عهدا
فلما أتاني الشيب يقطع بيننا
توهمته سيفاً فألبسته غمدا

ثم دخلت

سنة ثلاث وستين وستمائة

ففي العشرين من المحرم توفي علاء الدين قراجة صاحب حماة والعفيف بن السعردي صهر التاج الاسكندري. وفي سادس عشرين منه توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن العراقي، وكان صالحاً ديناً منقطعاً بجامع دمشق يقرىء القرآن ويجتمع به أهل العلم قبالة اللازوردة على يمين باب دار الخطابة، مستنداً إلى سارية الرواق الأوسط، صليت عليه إماماً خارج باب الفرج، ومضي به إلى جبل قاسيون، فدفن هناك، رحمة الله عليه. وفي ثامن صفر توفي النظام عبد الله بن البانياسي ببستانه بكفر سنوسة، وحمل إلى الجبل رحمه الله، وكان قد طال مرضه بالفالج وسمع ببغداد من جماعة، وفي ثامن شهر ربيع الأول توفي فجأة معين الدين إبراهيم بن مجد الدين القرشي ابن بنت القاضي محيي الدين محمد بن علي ابن يحيى القرشي رحمه الله، وكان له سماعات كثيرة وبخطه توجد أكثر الطباق في زمانه، وكان يكتبها كتابة حسنة صحيحة، وهو أحد المعدلين بدمشق من أكبر البيوت الدمشقيين، ودفن بالجبل صليت عليه إماماً خارج باب الفراديس بمصلى ابن مرزوق وذهب به إلى الجبل. وفي تاسع ربيع الأول توفي الشهاب محمد بن أحمد المعروف بالقليجي بخدمة سيف الدين بن قليج، وفي الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول توفي الشيخ محمد المعروف بابن امرأة الشيخ علي القزويني الزاهد الساكن بجبل قاسيون، رحمه الله.

وفيها: خرجت العساكر من مصر وتوجه بعضها الى الفرات فانهزم من كان ثم من جموع التاتار لعنهم الله الذين كانوا قد حاصروا قلعة البيرة وأفسدوا في تلك الديار، وتعطلت السكنى بتلك البلاد لسببهم فخربت، ثم خرج السلطان بيبرس من مصر بعساكره، فنزل ببلاد الساحل ونازل

قلاع الفرنج لعنهم الله، واستدعى بالرجال والآلات من دمشق وغيرها.

وجاءنا الخبر لدمشق بأنه دخل مدينة قيسارية ثالث ساعة من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى وهو يوم نزوله عليها، ثم تسلم القلعة يوم الخميس خامس عشر وهدمها وانتقل إلى غيرها.

وبلغنا أن في رابع جمادى الأولى توفي النجم المغربي القصري الأكتع، وكان متفنناً في علوم شتى، وهو الذي كان نظم المفصل، مات بأسيوط من أعمال مصر رحمه الله. وفي الثامن والعشرين من جمادى الأولى توفي الشيخ سعيد المغربي التلمساني الذي كان مقيماً بمسجد في محلة طواحين الأشنان خارج باب توما، وكان رجلاً صالحاً خيراً منقطعاً زاهداً رحمه الله صلينا عليه بجامع التوبة الذي في العقيبة وحمل إلى الجبل فدفن به.

وفيها: يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى توفي الشيخ زين الدين خالد ابن يوسف بن سعد النابلسي المحدث، وكان حافظاً لأسماء الرواة، ولكثير من الألفاظ اللغوية رحمه الله، صليت عليه إماماً خارج باب الصغير قبالة مسجد جراح وكانت له جنازة حفلة، ودفن في مقابر الباب الصغير، وفي أول جمادى الآخرة توفي العز أيبك عتيق القاضي جمال الدين المصري، وكيلاً بمجالس الحكام من بعد وفاة معتقه إلى الآن رحمه الله، وفي تاسع جمادى الآخرة، ونحن بدار الحديث الأشرفية، والجماعة يجتمعون لسماع سنن النسائي على تقي الدين اسماعيل بن أبي اليسر أيده الله، فأخذ بعض الجماعة النعاس ولج به فدافعه فلم يندفع فأشير عليه بأن يضع على جبهته ماء ففعل فمال رأسه إلى ورائه فأنشد ابن أبي اليسر متمثلاً بقول سحيم وقد تمثل به الحجاج في خطبته:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

فعاد ذاك الخجل منه تهللاً، واستحسنته أنا والحاضرون، وذكرت لهم

الحكاية المذكورة في تاريخ دمشق في ترجمة ابراهيم بن هشام المخزومي، حين خطب على منبر المدينة، وكان أميرها ومعه عصا فوقعت منه فاشتد ذلك عليه، فأخذها بعض حرسه فناوله إياها وأنشد:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عيناً بالأياب المسافر

فسرى عن ابراهيم ماكان فيه، وفي سادس عشر جمادى الآخرة توفي العز أبو العز بن صالح بن وهيب الحنفي المدرس بالمدرسة الشبلية بسفح قاسيون، وهو ابن أخي الصدر سليمان بن وهيب نائب الحكم بمصر يومئذ، وكان فقيهاً، ديناً، مشكوراً رحمه الله.

وفي سحر يوم الاثنين ثاني رجب ولد سبطي الحسين بن عبد الرحمن ابن محمد بن علي البكري، جعله الله مولوداً مباركاً.

وفي ذلك اليوم توفي النجم البغدادي المتصرف، وكان قد صار في آخره مستوفياً على جباة الأوقاف التي تحت يد القاضي، كالتربة وديوان السبع؛ والمدارس ونحوها، وفي ثالث عشر رجب توفي التقي أخو التاج عبد الرحمن ببستانه بجوبر فجأة رحمه الله. وفيه جاءنا الخبر باستيلاء المسلمين على مدينة أرسوف عنوة، وقتل من كان بها من الفرنج وأسرهم واغتنام أموالهم، وضرب البشائر بذلك. وفي رابع عشر رجب توفي بالقاهرة قاضي سنجار بدر الدين الكردي الذي تولى قضاة القضاة بالديار المصرية مراراً، وكانت له سيرة معروفة من أخذ الرشا من قضاة الأطراف والشهود، والمتحاكمين إلاّ أنه كان كريماً جواداً، وحصل له ولأتباعه بأخرة تشتت ومصادرات. وفي رجب أيضاً توفي بالقاهرة الشرف محاسن بن الصوري عريف سوق الكتب بها، وعمره مائة واثنتا عشرة سنة، وأنشدني عنه سعد الدين بن مسعود بن شيخ الشيوخ بن حموية قال: أنشدني الحافظ السلفي:

إذا عـــــــــزل المرء وافيتـــــــــــه
وعنـــــــد الـــــــولايـــــــة استكبر
لأن المولى لـــــــــه صـــــــولـــــــة
ونفسي على الـــــــــــــــــذل لا تصبر

ومولـده سنة إحـدى وخمسين وخمسمائة. حكي عنـه القاضي أحمد بـن خلكان قال: اجتمعـت به في الإيوان الكبير بدار الـوزارة عند البادرائي، رسول الـديوان فقال لي: دخلـت هذه الدار في أيـام شاور ورأيته جـالساً في صدر هذا الإيوان. قال: قلت: ماكـان عمرك يومئذ؟ قال: اثنتي عشرة سنة.

وفي يوم الاثنين أول يوم في شعبـان توفي الأمير جمال الدين مـوسى بن يغمـور. وفي ثالـث شهـر شعبـان توفي بـدمشـق شرف الـدين عثمان بـن السابـق الكاتب بـبـاب الجامع، وكان أحد كتـاب الحكم، وله خـط حلو وصدقـات ومعروف ملازم للصلوات في الجماعـات بالجامع، مـن العدول المبرزين رحمه الله تعـالى، صليت عليـه إمامـاً بمصلى ابن مـرزوق، خارج بـاب الفراديـس، وحمل إلى الجبـل ودفـن فيه، وكـانـت لـه جنازة حسنـة حفلـة. وفي ثـامـن عشر شعبـان توفي جمال الـديـن المصري الـذي كـان مشارف بـالبيمارستان النـوري، وهو صهر تقـي الديـن بن أبي اليسر على ابنته فاطمة بعد كمال الديـن الزملكاني رحمه الله، وكان رجلاً خيراً منقطعاً مقتنعاً صليـت عليه إمامـاً خارج بـاب النصر ثم شيعته مـع الجماعة إلى مقابر الصوفية فدفن بها وكان أبوه وزير الأمير الجناح.

وفيهـا: ورد إلى دمشق كتـاب يتضمـن أنـه ورد إلى القاهـرة في جمادى الآخـرة من هـذه السنـة كتـاب من المغـرب يتضمـن نصر المسلمين على النصـارى في بر الأنـدلـس، ومقدم المسلمين سلطـانهم أبـو عبد الله بـن الأحمر أيده الله، وكان الفنـش ملك النصارى قد طلب منه السـاحل من

طريف إلى الجزيرة ومارقة إلى المرية، فاجتمع المسلمون ولقوهم فكسروهم مراراً وأخذ أخو الفنش أسيراً، ثم اجتمع العدو في جمع كثير ونزل على غرناطة فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة فجمع من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس، فعملوها كوماً وطلع المسلمون عليها وأذنوا وأخذوا منهم عشرة آلاف أسير، وكان ذلك يوم الخميس رابع عشر رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة، وراح الفنش الى اشبيلية منهزماً. وكان قد دفن أباه بجامع اشبيلية فأخرجه من قبره خوفاً من استيلاء المسلمين عليها، وحمله إلى طليطلة، ورجع إلى المسلمين اثنان وثلاثون بلداً من جملتها اشبيلية، وقرطبة، ومرسية، ولورقة، وشريش، وجمع عساكر المسلمين على شاطبة وبلنسية والله ينصرهم برحمته.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان توفي الحاج أحمد المعروف بالسلامي الزملكاني الخشاب، ونجيب الدين فراس العسقلاني. وكان أحد العدول ذوي الثروة، وله سماع حديث من الخشوعي وغيره، ودفنا بباب الصغير رحمهما الله، وفي يوم الثلاثاء سلخ شعبان توفي النجم مظفر بن عبد الصمد رحمه الله. وفي يوم الجمعة ثالث رمضان صلي بالجامع صلاة الغائب علي الأمير جمال الدين موسى بن يغمور رحمه الله، وكانت وفاته مستهل شعبان، عند توجهه إلى ديار مصر من الساحل لما كان مع السلطان الظاهر بيبرس في محاصرة الفرنج وفتح قيسارية وأرسوف، ثم عمل له العزاء بجامع دمشق يوم الجمعة عاشر شهر رمضان، وفي سادس رمضان نيطت حسبة الجبل لبدر الدين علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر بن محمد بن قدامه. وفي سابع عشر رمضان توفي الأمير عز الدين عثمان بن تميرك، وكان ثقيل السمع، كثير الوسواس في أمر الطهارة رحمه الله. وفي السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الفخر بن أبي الفوارس، والد العفيف، ودفن بمكانه بالجبل رحمه الله، وفي أول جمادى الأولى توفي الناهض معالي بن أبي الزهر المعروف بابن الحبشي، ودفن بالجبل رحمه الله، وفي ثالث جمادى

الأولى توفي الحاج علي المغسل المعروف بالقباقبي، ودفن بباب الصغير رحمه الله، وكان حج في سنة اثنتين وعشرين وستمائة معنا، وكان مواظباً على الصلوات في الجماعات، كثير الصدقات والاحسان إلى الفقراء واليتامى، إذا صلى الصبح مع الإمام بالجامع يخرج فيقف بالباب الأوسط من أبوابه بباب البريد فيكبر ويهلل بصوت عالي ويدعو بصلاح المسلمين، ونحو ذلك، لايكاد يقطع هذه العادة، صليت عليه إماماً عند مسجد جراح خارج باب الصغير. ودفن في مقابره حذاء تربة ابن الشيرجي، وكانت له جنازة حفلة جامعة لأصناف الخلق من الخاصة والعامة، وكنت ترى اليتامى وغيرهم يقرؤون ويترحمون ويبكون رحمه الله، وذلك يوم الخميس ثالث جمادى الأولى، وفي عشية ذلك اليوم توفي الجمال أحمد بن عبد الله بن شعيب الذهبي الكتبي رفيقنا في القراءة على شيخنا علم الدين السخاوي رحمه الله، وكان تزوج ابنته فولدت له وماتت هي وولدها قدياً، ثم بقي عندنا مدة عمره وخلف كتباً كثيرة، وثروة، ووقف داره على فقهاء المالكية، وأوصى لهم بثلث ماله، وحرضته أن يقف شيئاً من أصول كتبه فلم يفعل، صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق، ودفن بالجبل يوم الجمعة رابع جمادى الأولى.

وفي سادس جمادى الأولى جاء من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي ثلاثة تقاليد للقضاة شمس الدين محمد بن عطاء الحنفي، والزين عبد السلام بن الزواوي المالكي، وشمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر الحنبلي، وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة من المذاهب الأربعة، ولكل منهم نائب، وهذا شيء ماأظنه جرى في زمان سابق، فلما وصلت العهود الثلاثة لم يقبل المالكي، فوافق الحنبلي واعتذر بالعجز، وقبل الحنفي فانه كان نائباً للشافعية فاستمر على الحكم والله يسدد الجميع بفضله ورحمته. ثم ورد كتاب من مصر بالزامهما بذلك، وأخذ مابأيديهما من الأوقاف إن لم يفعلا فأجابا، ثم أصبح المالكي فأشهد على نفسه بأنه عزل نفسه عن القضاء، وعن الأوقاف،

فترك واستمر الحنبلي، ثم ورد الأمر بالزامه فقبل واستمر الجميع، لكن امتنع المالكي والحنبلي من أخذ الجامكية على القضاء وقالا: نحن في كفاية، فأعفيا منها، ومن العجب اجتماع ثلاثة على ولاية قضاء القضاء في زمن واحد، وكل منهم لقبه شمس الدين، واتفق أن الشافعي منهم استناب من لقبه شمس الدين، فقال بعض الظرفاء:

أهل دمشق استرابوا
من كثرة الحكام
وهم جميعاً شموس
وحالهم في ظلام

وقيل أيضاً:

بدمشق آية قد
ظهرت للناس عاما
كلما ولي شمس
قاضياً زاد ظلاما

وقيل أيضاً:

قضاتنا كلهم شموس
ونحن في أكثف الظلام

وقيل أيضاً:

أظلم الشام وقد
ولي الحكم شموس
ليس فيهم من يبت
الحكم علماً أو يسوس

وفي سابع شعبان يوم الجمعة صلي بالجامع صلاة الغائب على الرضي ابن الدهان الواسطي التاجر.

وفي حادي عشر شعبان توفي شرف الدين عبد الرحمن بن بهاء الدين سالم بن الحسن بن صصرى، وكان من أكابر أهل دمشق جاهاً وثروة وبيتاً، صليت عليه إماماً خارج باب الفرج ودفن بالجبل بعد موت أخيه البهاء بستة أشهر وسبعة أيام. وفي ثالث عشر شعبان توفي الكمال بن الكمال إمام المدرسة الشامية ابن أخي الزين خالد رحمنا الله واياه بمنه وكرمه ورحمته، وعفا عنا وعنه وعن جميع المسلمين والمسلمات.

وفي شهر رمضان من سنة ثلاث وستين وستمائة شرع في تبليط مابين باب الجامع الغربي الذي عند القناة المعروفة بباب البريد، وجدد في الصف القبلي من ذلك بركة وشادروان، وكان موضعها قناة جددت قبل ذلك يجري اليها الماء من نهر القنوات، وكان الناس ينتفعون به زمان انقطاع نهر بانياس، الذي منه ماء الجامع بدمشق. وفي ذي القعدة سافر الأمير جمال الدين أقوش النجيبي نائب السلطنة بدمشق إلى مصر لاستدعاء السلطان له، ثم قدم دمشق.

وفيها: توفي المجد بن حرب الحلبي، كان شاهداً بباب الجامع، وفي ثامن ذي الحجة توفي تاج الدين بن الحموي أخو الزين والعز، وكان شيخاً متوداً، وتولى ديوان الجامع والمواريث الحشرية، ودار الضرب وغير ذلك، ودفن بباب الصغير رحمنا الله وإياه. وتوفي قبله النجيب بن الوزان الذي كان ساكناً بالمدرسة العزيزية في البيت الكبير الأسفل.

وفيها: في رابع عشر ذي الحجة توفي الشمس بن السني الخركاوي، رحمه الله تعالى، وجاءنا من زوار بيت المقدس في وقفة هذا العام، وأخبر أنه صلى يوم عيد النحر ببيت المقدس على الشيخ أبي القاسم الذي كان بقرية حوارى، وهو شيخ مشهور له أتباع وثروة، ثم صلى عليه بدمشق يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة. وصلى يوم العيد أيضاً ببيت المقدس على ضياء الدين على بن خطيب نابلس، وكان شيخاً، بهياً، فقيهاً، ديناً،

وتولى قضاء الكرك مدة رحمه الله. وفي سابع عشر ذي الحجة توفي التاج الاسكندري المعروف بالشحرور، ودفن بالجبل، صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق رحمه الله وإيانا. وفي هذه السنة توفي شمس الدين بن الحباب رحمه الله.

obeikandl.com

ثم دخلت

سنة أربع وستين وستمائة

ففي أوائلها يوم الثلاثاء جدد الحوض الذي هو في شرقي القناة الشامية بباب البريد، يجري إليه الماء من القناة المذكورة في أنابيب وشادروان في حائط القناة.

وفي سابع المحرم توفيت تاج خاتون ابنة الأمير فخر الدين ايازسركس، صاحب قرية بيت سوا رحمها الله. وفي ثامن عشر المحرم توفي عبد الله بن أيبك بن عبد الله عتيق ناصر بن القواص ويعرف بالقاضي رحمه الله. وفي العشرين من المحرم توفي العلاء علي بن البدر عبد المولى الوكيل بمجلس الحكم رحمه الله. وفي الحادي والعشرين منه توفي الشرف بن الصيرفي الساكن بدرب الأسديين، رحمه الله.

وفي الخامس منه توفي عبد الله بن عثمان الوكيل بمجلس الحكم ويعرف بالمؤذن، كان أبوه مؤذناً بالكلاسة رحمهما الله. وفي رابع صفر توفي بهاء الدين الحسن بن سالم بن الحسن بن صصرى أحد المعدلين بدمشق من بيت مشهور بالثروة، وجده الحسن كان من أهل الحديث من أصحاب الحافظ أبي القاسم وله رحلة الى العراق رحمه الله ودفن بالجبل. وفي ذلك اليوم توفي الشمس محمد بن أحمد الحنفي الأشقر خال ولد الصدر سليمان رحمه الله، وفي السادس والعشرين من شهر ربيع الأول توفي الصفي اسماعيل بن ابراهيم بن الزرعي الحنفي رحمه الله، ودفن بباب الفراديس، وعمره اثنتان وتسعون سنة، ومولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. سمع علي الخرقي وغيره. وفي خامس ربيع الآخر توفي الشرف يعيش المقريء، وكان شيخاً مسناً وعهدي به شيخاً، ونحن صبيان نقرأ عليه بالسبع الكبير، ثم بقي إلى هذه الغاية، وقل مابيده، فكان كل ليلة

بعد العشاء يخرج ويـدور في الدروب والحارات، وهو يتلو القـرآن العزيز، فمـن وضع في يـده شيئاً أخـذه، وكنـت آنس بقـراءته إذا عبر على بـاب مسكننا رحمه الله.

obeikandl.com

ثم دخلت

سنة خمس وستين وستمائة

يوم الأحد.

ففي ثاني محرم الحرام خرج السلطان الظاهر من دمشق إلى مصر رحمه الله تعالى.

وفيها: توفي بمصر الشرف محمد بن البكري أخو الصدر بن البكري، رحمه الله في رابع المحرم، وفي سادس صفر توفي شمس الدين ملكشاه الحنفي، مدرس المدرسة المعينية بعد الرشيد النيسابوري، وكان يعرف بقاضي بيسان. وتولى نيابة الحكم بدمشق في أول ولاية الصدر أحمد بن سني الدولة، ودفن في مقابر باب الصغير رحمهما الله. وفي الثاني والعشرين من صفر توفي الشرف أحمد بن رضوان، مولده سنة ستمائة وكان صحب شيخنا تقي الدين بن الصلاح في صغره بالمدرسة الرواحية، ثم صار يشهد بمسجد سوق القمح رحمه الله، وصليت عليه إماماً خارج باب النصر، ودفن بمقابر الصوفية قريباً من قبر ابن الصلاح رحمهما الله. وفي ذلك اليوم توفي الحاج عسكر بن طاهر، شيخ كبير من فلاحي قرية بيت سوا، وداعية. وخلف أولاداً كثيرة، وملكاً بداعية رحمه الله.

وفي سادس ربيع الأول توفي الضياء بن خواجا إمام والد الشريف، وكان إماماً بمسجد مثقال الجمدار على حافة نهر يزيد بجبل قاسيون، وكان رجلاً صالحاً منقطعاً رحمه الله. وفي ليلة السابع توفيت جدة ابني أحمد ومحمود، أم أمهما خالة ابراهيم رحمهما الله تعالى. وفي سابع ربيع الأول توفي الشيخ علي الواسطي إمام المدرسة الفلكية، وكان مقرئاً عندنا بالتربة الأشرفية، وكان كثير الذكر والصلاة، رجلاً صالحاً خيراً رحمه الله،

صليت عليه إماماً قبالة مسجد جراح، ودفن في أول مقابر الباب الصغير خلف مسجد جراح. وفي حادي عشر ربيع الأول توفي الشمس يوسف بن مكتوم وكان شيخاً كبيراً له سماعات كثيرة على الخشوعي، والدولعي وغيرهما رحمه الله.

وجاءنا الخبر بموت الأمير ناصر الدين القيمري بالساحل رحمه الله، وعمل عزاؤه بالجامع يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الأول، وهو الذي بنى مدرسة الشافعية بناحية مئذنة فيروز في سوق الحرميين بدمشق، وكان موته يوم الأحد ثالث ربيع الأول.

وفي العشرين منه توفي الشيخ مؤمن الضرير الخلاطي المقرىء، وكان أحد السبعة عندنا بدار الحديث الأشرفية رحمه الله. وأخبرني الضياء عبد الرحمن بن الجمال عبد الكافي في رابع عشر ربيع الآخر أنه رأى ليلة هذا اليوم كأن شخصاً معروفاً يقرأ في إيوان شيئاً من التصريف، وحوله جماعة، ثم جاء آخر فقعد يقرىء جماعة بحذائه، وانصرف من عند الأول بعض جماعته إلى الثاني، فبينا هم كذلك إذ أشرفت عليهم من طاقة في أعلى حائط الإيوان، وعلي ثياب بيض من صوف والعمامة كذلك وفوقها شيء مسبل عليها وقاية لها كصورة مايفعله من يجعل على عمامته منديلاً أو نحوه لأجل مطر وحر، فلما أشرفت عليهم بهيئة من حيث لم يكونوا يتوقعون ذلك قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت حديثاً في السنة والرأي، قال فبكى القوم وبكيت أنا ـ أعني الذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال قائل من الجماعة: في فضائل رجب ـ أي أسمعنا في فضائل رجب ـ ثم انتبهت. قلت له: هو شيء يحدث من الخير إن شاء الله تعالى في رجب هذه السنة بقرينة فضل رجب وذكر النبي صلى الله عليه وسلم، واتعاظ الجماعة والبكاء بورك بالفرح والسرور من ذلك الأمر بتوفيق الله تعالى.

ورأت امرأة كأن لنا داراً واسعة كبيرة مبيضة، وزواياها ملأى من الخبز المثلث الأبيض بعضه فوق بعض.

ثم رأى أخي كأن لي بستاناً كبيراً وبها عيناً فيه وفي وسطه بركة مد البصر، وقال ليوسف: افتح الماء، ففتح فجرى فيها أنابيب.

وفي الحادي والعشرين توفي الجمال علي بن عثمان الرسعني، أحد الشهود بمسجد سوق القمح رحمه الله، وكان بيني وبينه معرفة واجتماع بالمدرسة العزيزية في مجلس عز الدين بن عبد السلام، أيام كان المدرس بها شيخنا السيف الآمدي رحمهم الله، أنشدني شرف الدين المغربل قال: أنشدنا قاضي حماة ابن البارزي لنفسه:

دمشق لها منظر رائق
وكل إلى حسنها شائق
وأنى يقاس بها بلدة
أبى الله والجامع الفارق

وفيها: في الحادي والعشرين من شعبان توفي الفخر يحيى بن الجمال علي بن التاج عبد الواحد بن الفخر بن أبي الخوف رحمه الله، ودفن بالجبل عند أبيه وجده وجد أبيه الفخر رحمهم الله، وفيها: آخر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان توفي الفقيه شرف الدين القزويني الشافعي، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً متواضعاً خيراً، وكان أبداً معيداً بحلب، ثم بدمشق في المدرسة العادلية والشامية المجاورة للبيمارستان، وكان ساكناً بأهله بالمدرسة، وبها توفي ودفن يوم الأربعاء بكرة بمقابر الصوفية بالشرف القبلي رحمه الله، ولم أشهد جنازته كنت غائباً ببيت لهيا، وخلف ولدين صغيرين: عبد الرحيم، وعبد المجير، جبرهم الله تعالى.
وفي ثامن رمضان توفي ابن عمتي العز عبد الغفار بن علي الكناني، ودفن بمقابر الصحابة بباب الصغير رحمه الله.

وفي هـذا الشهر وصـل السلطان الظـاهـر بيبرس من الـديار المصريـة بعساكـره، ونازل حصـون الفرنج وبـلادها، وشن الغـارة عليها مـن جميع نواحيهـا، واستدعـى بالمجـانيق مـن دمشق، وجـاءنا كتـاب بعض أولاد الملوك تاريخه يوم الجمعة خامس شهر رمضان، من جهة المنازلين لهم من ساحـل حمص وأعمالها من ناحية حصـن الأكراد وأعمال طرابلس، بأنهم قد استـولوا على ستمائة أسير من الـرجال، ومـايقارب الألف مـن النساء والصبيـان من ثـلاثـة حصـون وستة عشر بـرجـاً، والله تعـالى يديـم نصر الاسلام بمنه وفضله.

وفي ثـامـن عشري شهـر رمضان وصـل الى دمشـق علي ولـد الخليفـة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن النـاصر، ينزل بالمنازل، وهو شاب كان التـاتار استـولوا عليه لما قتلـوا أباه المستعصـم وملكوا البـلاد، وبقي عندهـم إلى أن كسر بركـة هولاكـو، فاتصـل ولحق بعرب خفـاجة فبقـي عندهم إلى أن جاء جماعة معه منهم إلى دمشق في التاريخ المذكور، فتلقي وأنزل على الدار الأسدية مقابل المدرسة العزيزية.

وفي سابع جمادى الآخـرة جرت لي محنة بداري بطـواحين الاشنان فألهم الله الصبر، وفعل الله تعـالى فيها مـن اللطف مـالا نقدر على التعبير عنـه بوصف، وكـان قيل لي قم واجتمع بـولاة الأمر، فقلت: قد فـوضت أمري إلى الله فما أغير ما عقـدته مع الله، وهو يكفينـا سبحانه، ومن يتـوكل على الله فهو حسبه، ونظمت في ذلك ثلاث أبيات:

قلـــت لمن قـــال أمـــا تشتكـــي
مـــا قـــد جـــرى فهـــو عظيـــم جليـــل
يقيـــض الله تعـــالى لنـــا
مـــن يـــأخـــذ الحق ويشفـــي الغليـــل
اذا تـــوكلنـــا عليـــه كفـــى
فحسبنـــا الله ونعـــم الـــوكيـــل

وجاءنا الخبر بأنه توفي بالقاهرة الضياء صالح بن الشيخ ابراهيم الفارقي، والقاضي صدر الدين موهوب الجزري، وكان رفيقنا في الاجتماع عند الشيخ علم الدين السخاوي، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم ناب عنه بالقاهرة في الحكم بها، رحمه الله، ومات في تاسع رجب في هذه السنة. وفي العشرين من رجب توفي الكمال اسحاق بن خليل السقطي المعروف بقاضي زرا (١٤٤) رحمه الله، صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق، ودفن بالجبل وكان ممن اشتغل على شيخنا فخر الدين بن عساكر. وفي شهر رجب حفر السلطان الظاهر بيبرس خندقاً لقلعة صفد، وعمل فيه بنفسه وعسكره، وفي بعض تلك الأيام بلغه أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة، وتبقى ظاهرها إلى ضحوة، فسرى ليلة ببعض عسكره، وكمن لهم في تلك الأودية، فلما أبعدوا عن عكا خرج عليهم من ورائهم فقتل وأسر، وضربت البشائر بدمشق بذلك.

وجاء الخبر من مصر بموت قاضيها تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز في السابع والعشرين من رجب، ومولده في سنة أربع وستمائة، مستهل رجب، وهو: تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامي، مولده بالقاهرة، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى. وفي يوم الأحد ثامن عشر شعبان توفي الجمال محمد بن نعمة النابلسي، وكان رجلاً صالحاً رحمه الله، توفي ببستانه ودفن بمقابر باب كيسان عند أبيه.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحواشي والهوامش

ـ الأدق القول طغرلبك ، و تقدم معنا في الجزء الأول من موسوعتنا خبر فتنة البساسيري و ما حدث للخليفة القائم

٢ـ علم الدين السخاوي (٥٥٨ـ ٦٤٣هـ / ١١٦٣ـ١٢٤٥م) مصري الأصل ، سكن دمشق و فيها توفي ، له عدة مصنفات بالقراءات و الفقه و الحديث ، و له نظم أيضا . الاعلام للزركلي .

٣ـ كذا و هو وهم ، فقد مر معنا خبر الزلاقة في الجزء الثاني من موسوعتنا ، و اسم المعركة موضوع البحث « الأرك» و هي عند بعضهم تشبه الزلاقة من حيث الأهمية . الحلل الموشية ص١٥٩

٤ـ في هذا العرض مبالغة كبيرة مع تداخل و مزج لأخبار الزلاقة .

٥ـ أي استعاد الأندلس ووصل إلى طرفها الأقصى ، و كان راج بين بعض المسلمين وجود مدينة من نحاس أو مدينة فيها صنم من نحاس يشير بيده أن لا مجاز بعدي

٦ـ لا ترجمة له في كتاب صفوة الصفوة المطبوع

٧ـ ديوان الشريف الرضي ـط. دار صاد بيروت ، ج ١ ص ٥٧٥

٨ـ في هامش الأصل : و في بعض التواريخ أنه لم يزد نيل مصر ، و اشتد عليهم الغلاء و الوباء حتى مات أكثر الناس بها جوعا ، و أكل بعضهم بعضا ، و ذلك في سنة ست و تسعين ، و فيها ولي ضياء الدين الشهرزوري قضاء القضاة ببغداد ، و فيها ورد القاضي زين الدين أبو الفضل بن القاضي مجد الدين بن هندي الحاكم بمدينة حماه مفارقا حمص و قضاءها ، فتلقاه الملك المنصور صاحب حماه بالاعتزاز و الاكرام ، و المصنف ذكر ذلك في سنة سبع و تسعين و الله أعلم .

٩ـ الرياس : نبت له عساليج غضة إلى الخضرة ، عراض الورق طعمها حامض مع قبض ، ينبت في الجبال ذات الثلوج . معجم أسماء النباتات في تاج العروس ـ ط. القاهرة ـ ١٩٦٥

انظر أيضا مرآة الزمان ـط حيدر أباد الدكن ١٩٥٢ ج ٢ ص ٤٧٧ـ٤٧٨ .

١٠ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٦٩ نظر مرآة الزمان ج٢ص٤٧٩ـ٤٨١

١١ـكنز العمال ـ الحديث ٤٢٦٩٧

١٢ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٥١

١٣ـ سورة الأعراف الآية :٤٣

١٤ـ المنتظم ط. بيروت ١٩٩٥ـ تحقيقي ج١٠ ص ٤٦٧.

و تعد ترجمة سبط ابن الجوزي لجده أفضل تراجمه انظرها في مرآة الزمان ج٢ ص٤٨١ـ٥٠٣

١٥ـ مرآة الزمان ج٢ص٥١٠

١٦ـ أي داكن لون البشرة .مرآة الزمان ص٥١٣ـ٥١٦

١٧ـ سورة النحل ـ الآية :٢٦

١٨ـ سورة البقرة ـالآية :١٩٥

١٩ـ سورة ص ـ الآية :٣٥.

٢٠ـ سورة ق ـ الآية :٤١.

٢١ـ سورة الضحى ـ الآية :١١.

٢٢ـ كنز العمال ـ الحديث ٤١٤٢٤

٢٣ـ كنز العمال ـ الحديث ٤٣٥٦١.

٢٤ـ سورة القصص ـ الآية :٢١

٢٥ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٥٢٢ـ٥٢٤.

٢٦ـ الخبازي نبت معروف ، و هي بقلة عريضة الورق لها ثمرة مستديرة (عباد الشمس) مرآة الزمان ج٢ ص ٥١٦ـ٥٢٤.

٢٧ـ هو محمد بن أحمد (ت ٦٤٣هـ) من أعيان آل عساكر ، اشتهر بالنسب

٢٨ـ مرآة الز مان ج٢ ص ٥٢٢ـ٥٢٤.

٢٩ـ مرآة الزمان ج٢ص٥٢٦.

٣٠ـ ليس في ديوانه المطبوع

٣١ـ مرآة الزمان ج٢ ص٥٢٧ـ٥٢٨.

٣٢ـ مظفر الدين سنقر

٣٣ـ مرآة الزمان ج٢ ص٥٢٩ ـ ٥٣١ ، لكن باختصار شديد

٣٤ـ مرآة الزمان ج٢ ص٥٣٣

٣٥ـ الكامل لابن الأثير ـ ط. القاهرة ، مطبعة الاستقامة ج٩ص٢٩٧.

٣٦ـ حب متوسط بين الشعير و الحنطة ، و قيل هو العصفر ، و قيل الجلبان . معجم أسماء النباتات

٣٧ـ ديوان ابن عنين ـط. دار صادر ، بيروت ص٢٤٣.

٣٨ـ لم يرد هذا الخبر في المطبوع من مرآة الزمان

٣٩ـ تصحيف : التائي أي الطائي ، و هي التسمية التي أريد بها العرب في الشرق قبل الاسلام ، و نقل هذه التسمية النساطرة من أعالي الجزيرة ، لأن من جاورهم من البداة العرب كان جلهم من طيء

٤٠ـ ليس لابن طبرزد ترجمة في المطبوع من مرآة الزمان

٤١ـ موسوعة أطراف الحديث ج١٠ ص٤٤٥

٤٢ـ سورة لقمان ـالآية ١٣

٤٣ـ سورة الأنعام ـالآية :٨٢

٤٤ـ سورة البقرة ـالآية :١٣٢

٤٥ـ سورة التحريم ـ الآية :٥. مرآة الزمان ج٢ص٥٤٦ـ٥٥٣

٤٦- انظر السلوك للمقريزي ج١ص١٦٣, ١٧٣. وفوة بليدة على شاطىء النيل من نواحي مصر قرب رشيد ، بينها و بين البحر ٢٠ خمسة فراسخ او ستة ، و هي ذات أسواق و نخل كثير . معجم البلدان ، و فيه أيضا ذكر لبلدة بورد

٤٧- مرآة الزمان ج٢ ص٥٥٣-٥٥٤

٤٨- الاشارة هنا إلى إلى معركة شلبترة سنة سبع و ستمائة أيام محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور . الحلل الموشية ص١٦١

٤٩- ألموت هو الحصن الرئيسي للاسماعيلية في ايران ، و حول هذا الموضوع انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة - ترجمتي . بيروت ١٩٧١ ص٩٣-٩٤

٥٠- كذا و هو اجتهاد لا يوافق عليه .

٥١- انظر تاريخ الصالحية لابن طولون ، ط. دمشق ١٩٤٩ ص٥٥

٥٢- تعجيم قيس ، جزيرة في وسط البحر ، تعد من أعمال فارس . معجم البلدان

٥٣- مرآة الزمان ج٢ص٥٦٠-٥٦١.

٥٤- مرآة الزمان ج٢ ص٥٦٤-٥٦٥

٥٥- مرآة الزمان ج٢ ص٥٦٥-٥٦٧.

٥٦- مرآة الزمان ج٢ ص٥٦٩٠٥٧٠

٥٧- سورة يس - الآية :٤٩.

٥٨- مرآة الزمان ج٢ص٥٧١

٥٩- ديوان أبي الفتح البستي ـط . دمشق ١٩٨٩ ص١١٠-١١١ مع فوارق

٦٠- في دمشق حيث كان مقر مجمع اللغة العربية ، و فيها قبر العادل .

٦١- دار العقيقي هي حيث المكتبة الظاهرية

٦٢- مرآة الزمان ج٢ ص٥٧٢- ٥٧٣

٦٣- حصن مسلمة بن عبد الملك على الفرات

٦٤- من أنواع الأقبية .

٦٥- مرآة الزمان ج٢ ص٥٧٤-٥٧٥، باختصار شديد

٦٦- مرآة الزمان ج٢ ص ٥٧٩-٥٨٠

٦٧- مرآة الزمان ج٢ص٥٧٥-٥٧٧.

٦٨- مرآة الزمان ج٢ ص٥٨١.

٦٩- لدي نسخة مصورة من هذا المختصر

٧٠- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ـط. القاهرة ١٩٥٣ ص٥٠-٥٢

٧١- مرآة الزمان ج٢ ص ٥٨٣-٥٨٥

٧٢- مرآة الزمان ج٢ ص ٥٨٦- ٥٨٩

٧٣ـ مرآة الزمان ج٢ ص٥٨٩ـ ٥٩٢

٧٤ـ مرآة الزمان ج٢ ص٥٩٢

٧٥ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٥٩٤

٧٦ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٥٩٤ـ ٥٩٧

٧٧ـ شار مساح قرية كبيرة كالمدينة بمصر ، بينها و بين دمياط خمسة فراسخ ، من كورة الدقهلية . معجم البلدان

٧٨ـ لم يرد هذا الخبر في الكامل لابن الأثير المطبوع .

٧٩ـ بيت رانس أو أرانس بن قرى الغوطة . معجم البلدان

٨٠ـ مرآة الزمان ج٢ ص٥٩٨

٨١ـ في مرآة الزمان ج٢ ص ٦٠١ ـ٦٠٢ «فأجابوا بالسمع و الطاعة ، و قالوا نمتثل أمره بقدر الاستطاعة ، و تجهزوا فلما حل ركابه بالساحل وقع التقاعد من الأماثل ، لأن لكل مقام مقال ، و للحرب رجال ، و كان تقاعدهم سببا ...»

٨٣ـ مرآة الزمان ج٢ ص٦٠٤ـ٦٠٦. ديوان ابن عنين ـط دار بيروت ص٩٣.

٨٤ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٠٦ ـ٦٠٧

٨٥ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٠٨

٨٦ـ مرآة الزمان ج٢ ص٦٠٨ ـ٦٠٩

٨٧ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٥٩٨ـ ٦٠٠ـ ٦١٠

٨٨ـ في مرآة الزمان ج٢ ص٦١٨ «ببسطها »

٨٩ـ هو كتاب « مضمار الحقائق و سر الخلائق » عثر على قطعة منه و نشرت في القاهرة عام ١٩٦٨

٩٠ـ لم يصلنا ما بعد وفيات سنة ٦١٦ من كتاب التكملة لوفيات النقلة

٩١ـ مرآة الزمان ج٢ ص٦١١ـ٦١٢

٩٢ـ سورة التوبة ـالآية :٣٤

٩٣ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦١٢ـ ٦١٧.

٩٤ ـ ديوان أبي الفتح البستي ـ ط دمشق ١٩٨٩ ص ١٢٢ مع فوارق

٩٥ـ مرآة الزمان ج ٢ ص ٦٢٢ ـ ٦٢١

٩٦ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٢٤.

٩٧ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٢٤.

٩٨ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٢٥

٩٩ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٢٦ـ٦٢٧

١٠٠ـ مرآة الزمان ج٢ ص ٦٣١ـ ٦٣٢

١٠١- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٣٢

١٠٢- استوفز في قعدته : انتصب فيها غير مطمئن. القاموس

١٠٣- سورة المطففين - الآيات : ١-٣

١٠٤- أي في موقع بناء مركز جامعة دمشق الآن

١٠٥- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٣٠- ٦٣١ .

١٠٦- سورة الاسراء الآية : ٨٢

١٠٧- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٢٧- ٦٣١.

١٠٨- جامع الحنابلة بصالحية دمشق ، حيث على المنبر اسم مظفر الدين كوكبري .

١٠٩- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٢٩ - ٦٣١

١١٠- سقطت ترجمة القادي من المطبوع من مرآة الزمان

١١١- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٣٤ - ٦٣٥

١١٣- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٣٨- ٦٣٩، و زاد :«و خلفه مائة ألف دينار ، و كل هذا لأجل المحراب ، لا يزاحمك عليه أحد ، و الله لا كلمتك أبدا»

١١٤- لا ترجمة له في المطبوع من مرآة الزمان

١١٥- لم ترد هذه الأبيات في ديوان البستي المطبوع .

١١٦- أشار سبط ابن الجوزي في المطبوع من مرآته إلى سفر خاله إلى مصر إلى الكامل ج٢ ص٦٣٩.

١١٧- مرآة الزمان ج ٢ ص٦٤٢ -٦٤٣٢.

١١٨- مرآة الزمان ج٢ ص ٦٣٩- ٦٤٢ .

١١٩- مرآة الزمان ج٢ص٦٤٤.

١٢٠- في نواحي وادي بردى ، كانت قرب الفيجة . غوطة دمشق لكرد علي - ط. دمشق ١٩٨٤ص ٣٨١

١٢١- انظر الكامل لابن الأثير ج٩ ص ٣٨١

١٢٢- في مرآة الزمان ج٢ ص ٦٧٨: « و كانت وفاة العزيز يوم الاثنين عاشر رمضان ببستانه في الناعمة ببيت لهيا ، و حمل تابوته فدفن بقاسيون في تربة المعظم عند والدته و أهله »

١٢٣- جذوة المقتبس للحميدي - ط . القاهرة ١٣٧١ هـ ص ١٢٠- ١٢١ . كتاب الصلة لابن بشكوال - ط . القاهرة ١٩٥٥ ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨

١٢٤- سورة الماعون - الآية :٧

١٢٥- سجر موضع بالحجاز . معجم البلدان .

١٢٦- عثر على شاهد قبره مع بقايا قبرين فيما يعرف الآن بورشة الفسيفساء إلى الشمال من المسجد الجامع الأموي بدمشق .

١٢٧- من المرجح أن موقع الفسقار في سوق مدحت باشا اليوم عند جامع ابن هشام . انظر دمشق الشام لجان سوفاجية - ط. دمشق ١٩٨٩ ص ٤٨.

١٢٨- اسم لوادي قناه قرب أحد. المغانم المطابة للفيروز أبادي

١٢٩- سورة المرسلات - الآيات : ٣٢-٣٣

١٣٠- إلى الشرق من المدينة . المغانم المطابة

١٣١- الآنك - الرصاص ، فارس معرب

١٣٢- من قرى غوطة دمشق . غوطة دمشق لكرد علي ص ١٨٣ .

١٣٣- هذا البيت من قصيدة قالها سبط ابن التعاويذي في هجاء الوزير ابن البلدي أيام الخليفة الناصر ، و لم يعش سبط ابن التعاويذي حتى سقوط بغداد فهو قد توفي سنة ٥٨٤ .

انظر ديوانه ط . دار صاد بيروت ص ٤٧- ٤٨ . ووزير بغداد أيام سقوطها هو ابن العلقمي . انظر ذيل مرآة الزمان لليونيني - ط حيدر أباد ١٩٥٤ ج١ ص ٨٧- ٩٠

١٣٤- هو ابو حفص عمر بن موسى بن عمر الغزي الشافعي . انظر المدارس في بيت المقدس للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي - . عمان ١٩٨١ ج١ ص٢١٤- ٢١٦

١٣٥- حزرما من قرى مرج غوطة دمشق شمال المجرى الرئيسي لنهر بردى ، على بعد٢ كم شمال بلدة النشابية - منطقة دوما ، محافظة ريف دمشق ، و إلى جانبها تل أثري يحمل الاسم نفسه . المعجم الجغرافي في القطر العربي السوري ج٣ ط . دمشق ١٩٩٢ .

١٣٦- تبعا للمصادر الأرمنية شارك نحو خمسمائة أرمني إلى جانب المغول في معركة عين جالوت ، ثم قادوا فلول المغول شمالا عبر الطريق الساحلي نحو دولة أرمينية الصغرى في كليكية ، و هكذا لم يهرب المغول عبر البادية الشامية أو حلب و الجزيرة ، خشية الابادة .

١٣٧- أي إلى نحو درعا حاليا .

١٣٨- من قرى الغوطة الداثرة . غوطة دمشق لكرد علي ص١٦٩- ١٧٠ .

١٣٩- جرت العادة بين جند المماليك أن يسلم بعضهم على بعض بالمكارشة، أي بمس كرش واحد بالآخر ، و ليس بالمعانقة أو المصافحة .

١٤٠- كان قوبلاي في الصين ، أما عربي بكو فهو أريق بوكا ، و هزم بركة خان جيوش هولاكو عند نهر ترك ، أما وفاة هولاكو فكانت عند شاطىء نهر جغاتو إلى الجنوب من بحيرة أرمية ، ووصف ياقوت هذه البحيرة بقوله : هي بحيرة مرة منتنة الرائحة لا يعيش فيها حيوان ولا سمك و لا غيره ، و في وسطها جبل يقال له كبوذان ، و جزيرة فيها أربع قرى أو نحو ذلك يسكنها ملاحو سفن هذا البحر ، و ربما زرعوا في الجزيرة زرعا ضعيفا ، و في جبلها قلعة حصينة مشهورة » . انظر المغول في التاريخ للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ط . القاهرة ١٩٦٠ ص ٢١٢- ٢١٤

١٤١ . البلاط قرية في الغوطة الشرقية ، تتبع ناحية المليحة ، منطقة و محافظة ريف دمشق . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

١٤٢- فراغ بالأصل ، و لم أقف على ترجمة أخرى له في المصادر المعاصرة ، و أرجح أن المؤلف نفسه ترك هذا الفراغ ليستدركه و لم يستطع فيما بعد .

١٤٣- سورة القصص - الآية : ٣٥

١٤٤- هي بلدة أزرع في حوران سورية ، و تتبع اداريا محافظة درعا